دكتور
مصطفى حلمي

الفلسفة البنيوية

رؤية نقدية

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعــــد :

فهذه سطور عن (الفلسفة البنيوية) . وهى فلسفة معاصرة ظهرت بفرنسا بصورة متكاملة عام ١٩٦٦ م .

وقد اتسمت هذه (الفلسفة البنيوية) بأنها كانت : عنصراً واحداً (موضوعاً واحداً) عند عدة فلاسفة . .

وذلك على غير ماألفناه من وجود (عدة موضوعات) فى نسيج فيلسوف واحد .

وتعتبر (الفلسفة البنيوية) آخر الاتجاهات الفلسفية التى انتهى إليها الفكر الإنسانى بعد أن تعلق طويلا باتجاهين :

(أ) اتجاه الذات المشخصة . واعتبارها (محور) التأمل الفلسفى .

(ب) واتجاه مضاد : لايعنى بغير الظواهر المحسوسة ويؤدى إلى ظهور الفلسفة الوضعية : ثم : الوضعية المنطقية بصورها العديدة .

وينبغى أن نؤكد هنا أن (البنيوية) تعـــد (ثورة) على كلا الاتجاهين . .

لأن الفلسفة البنيوية : لاتعنى بالمفرد المشخص أو (بالأنا) الذى

تتغنى به (الفلسفة الوجودية) ... كما لا تعنى بـ (نحن) الذى تنشغل به (الفلسفة الاجتماعية) . كما لا تنصب دراستها على : العلاقات المحسوسة فى المجتمعات أو بين الأفراد .

بل تذهب (الفلسفة البنيوية) إلى أبعد من ذلك .. لأنها تريد الكشف عن (باطن) الظواهر أو (البنية) التى تؤسس هذه (الحالات) الظاهرة[1] . .

فلاسفة البنيوية :

وقد تضافر بإبراز (الفلسفة البنيوية) أربعة من الفلاسفة هم :

١ — كلود ليفى اشتراوس ولد سنة ١٩٠٨م . ولا يزال يعمل أستاذاً بالكلية الفرنسية بباريس [الكوليج دى فرانس][2] .

ويقول أحد الباحثين : [إذا كانت البنيوية هى سيدة العلم والفلسفة رقم واحد إبتداء من سنة ١٩٦٦م وحتى اليوم ... فإن الفيلسوف كلود ليفى إشتراوس هو « سيد البنيوية » بلا منازع][3] .

وقد اهتم بدراسة (الفلسفة البنيوية) من خلال (الأنثروبولوجيا) .

٢ — ميشيل فوكوه . ولد سنة ١٩٢٦ م . وهو فرنسى تخصص فى فلسفة « تاريخ أنساق الفكر » . ويعمل بجامعة تونس من عام ١٩٦٦م .

---

(١) راجع (مقدمة) كتاب (البنيوية بين العلم والفلسفة) للدكتور محمد على أبو ريان.

(٢) راجع ص ١ من كتاب (البنيوية بين العلم والفلسفة) د/ عبدالوهاب جعفر .

(٣) راجع ص٧ من كتاب (مشكلة البنية) د / زكريا إبراهيم .

وقد طبق (الفلسفة البنيوية) على (المعرفة) مستهدفاً إعادة النظر فى مفهومها باحثاً عن (خطة إبستمولوجية لتحليل الأداء اللفظى) . وقد عرف اتجاهه هذا باسم [أركيولوجيا المعرفة][1] .

٣ — جان لاكان ولد سنة ١٩١٢م . وهو طبيب. حصل على الدكتوراه فى التحليل النفسى وأنشأ مدرسة للتحليل النفسى بباريس سنة ١٩٥٣ . وكانت (الفلسفة) تغلب على فكره . وتبعـــد به عن (العلم) الطبيعى بمعناه المعهود .

وقد حاول جذب (الفلسفة البنيوية) نحو (التحليل النفسى) مستهلما (البداية) التى كانت عند (اشتراوس) .

٤ — لويس ألتوسير . ولد بالجزائر سنة ١٩١٨م وتخرج فى المعلمين بباريس . وتخصص فى (فكرة المضمون عند هيجل) وحصل بها سنة ١٩٤٨م على (الماجستير) ،

وقد تحدد اتجاهه الفلسفى منذ سنة ١٩٤٨م عندما انضم إلى : الحزب الشيوعى الفرنسى .

ولذلك : حاول جذب (الفلسفة البنيوية) نحو تأصيل الشيوعية . . وقـــد جاءت فلسفته مصاغة فى (نظريته) التى احتوت أعمال (كارل ماركس) .

---

(١) الأركيولوجيا هى : علم دراسة الآثار . . ويقول عنه فى كتابه (تاريخ الجنون) : [إن المنهج الأركيولوجى هو منهج تعليمى بسيط يعلم الطالب بأنه لا وجود لشىء وراء النص . فهو يحتوى على معان صامتة تمتلىء بنبع لا ينضب ..]

ويقول أحد الباحثين : [وقد أخذ ألتوسير على عاتقه أن يأتى بفهم (بنيوى) جديد للفكر الماركسى . فهو يرى أن (الثغرات) التى خلفتها الماركسية إنما ترد فى النهاية إلى عدم اكتمال الفلسفة الماركسية نفسها ..][1].

منهج العرض :

وقد اخترت أن أعرض (الفلسفة البنيويه) من خلال الفيلسوف (كلود ليفى اشتراوس)، باعتباره :

١ — الفيلسوف البنيوى الذى قدم هذه الفلسفة وروج لها . .

٢ — وأنه الفيلسوف الذى عنى بدراسة (البنيوية) على الجانب الإنسانى (الأنثربولوجيا) .

٣ — وأنه الفيلسوف الذى خاض بالفلسفة البنيوية كل مجالات الفكر الإنسانى سلباً أو إيجاباً .

بينما تقوقع بقية فلاسفة البنيوية فى إطار محدد سواء كان هذا الإطار فكرة مثل : [فوكوه] . أو كان اتجاهاً مثل (لا كان وألتوسير) .

وبمشيئه الله تعالى سأحاول أن أقدم هنا (الفلسفة البنيوية) من خلال المسيرة الفلسفية للفيلسوف (اشتراوس) .

---

(١) وقد ألف كتباً توضح عناوينها مدى علاقته بالماركسية وهى : (دفاع عن ماركس) و : (قراءة كتاب رأس المال) و : (لينين والفلسفة). راجع ص ١٤ من بحث (البنيوية فى الفكر السياسى) د/عبد الوهاب جعفر نشر دار المعرفة سنة ١٩٨٤ بالاسكندرية .

وسنجد من خلاله أن [كل الصيد فى جوف الفرا][1] كما سنجد اضطراباً فى العرض بسبب اضطراب [المعروض] .

والحقيقة : أن (الفلسفة البنيوية) تحتاج إلى : التعريف بها فى محيط الأزهر الشريف . الذى تضلع دوماً بوقفاته العلمية والعقائدية والعقلية . أمام الفلسفات الوافدة التى ترد على : المحيط الإسلامى .

فكم شاهدنا علماء الأزهر الشريف وهم يكافحون (نظرية النشوء والارتقاء) حتى أسقطوها .

وشاهدنا كيف حارب علماء الأزهر الشيوعية حتى أخمدوها ثم انثال الأزهر على الوجودية والعلمانية فى قوة عظيمة . استطاعت أن تدفع هذا الضلال عن الساحة الإسلامية .

وحفظ الأزهر بذلك (عقيدة الإسلام) من كل سوء .

ولا ينبغى هنا أن نغفل عن أن (الأزهر) عندما كان يتصدى لهذه الفلسفات الضالة .. كان يحارب من أتباع (الغرب) المروج لهذه الفلسفات. وكم قاسى علماء الأزهر من ألسنة وأقلام هؤلاء .

ولكن أصحاب الحق : ما اهتزت لهم قناة ولا نال منهم كيد . . بل استمسكوا بعقيدة الإسلام التى رادتهم إلى الخير والسلامة العقلية .

ومن هنا : عندما أهدانى منذ سنوات زميل تخصص فى عرض (البنيوية) بجامعة الاسكندرية بعض مؤلفاته عن (الفلسفة البنيوية) هالنى منها خلوها عن النقد الإسلامى وطفقت أقرأ عن هذه الفلسفة ما أتيح لى فيها باللغة العربية .

---

(١) وآمل قريباً إن شاء الله تعالى الانتهاء من إخراج البحوث التى تعرف ببقية (فلاسفة البنيوية).

وللأسف وجدت أن الكتب التى قدمت هذه الفلسفة إلى المجتمع العربى لا تكاد تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة .

ولذلك هرعت أبحث بين زملائى فى جامعة الأزهر خاصة الذى أتموا دراستهم فى فرنسا.. ولما لم أجد أن (الفلسفة البنيوية) قد قدمت إلى: العلماء والباحثين فى الأزهر الشريف . حتى يمكنهم العكوف على دراستها والتعليق عليها بتوسع .. ونقدها نقداً إسلامياً وفلسفيا من واقع خبراتهم السابقة فى نقد الفلسفات الضالة .

إستقر لدى أنه يجب على القيام بهذا التعريف للفلسفة البنيوية . لعلماء الأزهر الشريف .

وقد استعنت بالله تعالى وقمت بعرض الفلسفة (البنيوية) فى صورة مركزة سريعة .. محاولا الولوج إلى :(الاختصار). مبتعداً من(الإبتسار).

وأسأل الله تعالى أن يكون (بحثى) هذا باكورة البحوث فى مجال (جامعة الأزهر) . وأن تسهم بقية الأقلام فى عرض هذه (الفلسفة البنيوية) .

وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم مبتهلا إليه سبحانه أن يحفظ عقيدة الإسلام وأن يثبت الأقدام فى الدفاع عنها ضد كل فلسفة ضالة وردة أو وافدة .

وعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده .

[ربنا عليك توكلنا . وإليك أنبنا . وإليك المصير .] .

هذا .. وبالله التوفيق ؟

دكتور

مصطفى غلوش

تمهيد

تعتبر « فلسفةالبنيوية » من الفلسفات الحديثة التى ظهرت فى أوربا منذ العقد الثانى من النصف الثانى من القرن العشرين .

ولعلنا يهمنا أن ندرك هنا : أن أوربا الحديثة تطلع على العالم كل فترة زمنية بفلسفة تروج لها بقوة مهماتباعدت عن المنهج الأصيل للمنطق والفلسفة . .

وكلما أوشك الإنسان على « صد » ومقاومة هذه «الفلسفة » التى تصدم عقله العام . . قام العالم الأوربى بسحب (فلسفته) وإحلال « فلسفة » أخرى ، لها نفس الغاية والمنشط وإن اختلفت فى الشكل والهيئة وموقعها من فكر الإنسان . !

ولست هنا بصدد : إحكام « سجل » لفكرة (الإحلال والصد) وإنما يكفينى هنا أن أشير إلى :

١ — نظرية النشوء والارتقاء . . التى نادى بها (تشارلس دارون) . . وهو (يهودى) .

٢ — الفلسفة الماركسية : التى أقامها (كارل ماركس) وهو يهودى .

٣ — الفلسفة الوجودية : التى روج لها حديثاً « جان بول سارتر » .

وهو وإن لم يكن (يهودياً) ، فإنه معجب بالفكر الماركسى ويرى : [أن الماركسية هى فلسفة العصر ، وأن الوجودية ، ليست سوى إيديولوجيا ، تعيش على الفلسفة الماركسية][1] .

---

(١) راجع مقدمة ك « نقد العقل الجدلى » لسارتر .

وبهذا (الربط) صارت الوجودية عند فيلسوفها (سارتر) يهودية المنزع.

٤ — منذ عام سنة ١٩٦٦ م طلع علينا (ليفى شتراوس) وهو يهودى فرنسى، بفلسفة جديدة عرفت باسم (الفلسفة البنيوية).

والحق أن (ليفى شتراوس] يعتبر « حلقة » من الحلقات الفلسفية التى تلقى فى محيط الإنسان المعاصر بغرض « إلهائه » عن البحث عن (الذات) الإنسانية والفطرة التى أودعها الله تعالى فى الإنسان . . واستحق بذلك « التكريم » قال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم »[١].

ولكن الإنسان يجر جراً إلى « غربة » تأباها (فطرته) دون أن يدرك ما يحاك به ... فينهل من فلسفات تفارق المنهج والقواعد العقلية العامة . . وهو مخدوع بعوامل كثيرة ويتــوه بذلك عن حقيقة ذاته،

وتكاد الآن : أن تكون (الفلسفة البنيوية) هى (الرمز) الوجودى لهذا الاتجاه الفلسفى .

والفلسفة البنيوية: بدأ الترويج لهاعندما تداعت (الفلسفة الوجودية) فى مهدها « فرنسا »، وأعلن إسقاطها فلسفياً . .

وبينما تحتضر (الوجودية) إعلامياً : نشطت الدعوة إلى : الفلسفة الجــديدة (البنيوية) لتكون (وريثة) للوجودية . . وحتى يصير الإنسان دائماً تحت (قبضة) فلسفية موجهة لغاية مخططة .

والفلسفة (البنيوية) تطرق بقوة أبواب (الفلسفة الأوربية الحديثة)

---

(١) سورة الإسراء . آية (٧٠) .

بحثاً لها عن (دور) يسد الفراغ العقلى الذى أحدثه انهيار الوجودية فى الغرب الأوربى .

وأعتقد أن (الفلسفة البنيوية) سيزداد (السعار) الإعلامى لها تنشيطاً بعدما سقطت رسمياً — أيضاً — الماركسية ، كأثر مباشر لنظرية (البريسترويكا) المعاصرة .

ويرى (الباحثون) أن (الفلسفة البنيوية) جاءت كرد فعل لمنهج الفيلسوف (نيتشه) فى فلسفته ، التى لا يمكن أن نقول فى وصفها : (إنها فلسفة اليأس والموت وإنما نقول : إنها فلسفة الجزء الطبيعى الإلحادى) ،

إذ حينما أعلن (نيتشه) فى القرن الماضى (موت) إلهه ..والعياذ بالله. جاءت (الفلسفة البنيوية) فأعلنت (موت الإنسان)[1] .

والحقيقة : أن هذا الإعلان فى حد ذاته يكاد أن يكون فلسفة (معارضة) لما شاع بصورة عامة فى (أوربا)من فلسفات فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . .

إذ بينما لوحظ ظهور : المذاهب والفلسفات فى هذه الفترة الزمنية ، تدور : حول الإنسان وفى فلكه ، فاستعاروا منها مبادىء قوانين العلوم وقامت هذه الفلسفات بتقديم (المنهج التطبيقى) بما يؤمن (الإنسان) فى حياته العامة والخاصة : تفكيراً ومنهجاً ..

وتحول الإنسان بذلك (المنهج التطبيقى) إلى (كتلة) توزن وتوصف وتعامل معاملة كل قوام (مادى) دون اعتبار للثنائية الإنسانية . .

---

(١) راجع ص ٢٥ من كتاب (مشكلة البنية) د. زكريا إبراهيم .

ونظرة سريعة إلى (إنتاج) العقل فى هذه (الحقبة) تخبرنا أن الدراسات الفلسفية تحدثت عن (إنسان) لا يعرفه (الإنسان).

ومن هنا : كان الظمأ إلى فلسفة إنسانية تساير الإنسان فى طبيعته وفطرته . .

ولعل هذا : يوضح لنا لماذا كان الإقبال شديداً على (الفلسفات) التى اتشحت برداء « الإنسان » .. لدرجة أن الناس أقبلوا عليها إعجاباً بها منذ الوهلة الأولى ، دون اختبار لمنهجها أو تلمس لغايتها .

وتلك هى مشكلة : كل ظامىء «قابل» دون اختبار أو اختيار..

وفى عصرنا الحاضر : حاولت (الفلسفة البنيوية) أن تسد فراغ الفلسفات السابقة عليها . . والتى (وأدها) الإنسان عندما أعمل فيها عقله . .

ولذلك : اتخذت (الفلسفة البنيوية) لها منهجاً تحاول فيه أن (تفر) من موازين الإنسان وعقله . .

فقد شاهدت (البنيوية) مصارع (الفلسفات) التى سبقتها بإعمال العقل الإنسانى . .

ومن هنا : نشطت خطوات (البنيوية) الأولى لتقدم نفسها فى قالب تتصور فيه أن تكون بمنأى عن « حكم العقل » .

فكانت (البنيوية) عبارة عن : حرمان الإنسان من أن يكون إنساناً .

وبمعنى آخر : كانت البنيوية طمساً أو انقلاباً وثورة على كل الفلسفات التى عنيت بالإنسان وحضارته .

ومن هنا كان لابد أن يلتفت إليها على أنها نوع من الفلسفات الخاصة التى جاءت إثر مفهوم حضارى نابع فى أوروبا .

ولا نستطيع أن نخلص مثل هذه الفلسفات أو مثل هذه الأنواع من توارد الصفات النفسية السياسية .

بل لانبالغ عندما نقول: إن البنيوية تداخلها فلسفياً صفات إقتصادية تؤثر فيها وتتأثر بها .

لم التعريف بالبنيوية ؟..

وإذا أردنا أن نقترب قليلا من معنى البنيوية لنقربها إلى القارىء العربى إذ أنه مازال لانقول لايعرفها وإنما نقول أنه لم يتعرف عليها ولم يألفها بين دراساته وبين كتبه ، ولم ينشرها ولم يوسع لها .

والحقيقة أنى ما أقصد من عرض البنيوية أن أعبر عن إعجابى بهذا النوع من الفلسفات فالضلال لايعجب به عاقل .

وإنما قصدت فقط أن أصور أمرين :

الأمر الأول :

كيف أن أوروبا فى عصرها الحديث تنتقل فى فلسفاتها المعاصرة من الضد إلى الضد ، ومن النقيض إلى النقيض ومن الشىء إلى اللاشىء .

وهذه موجه فلسفية تعبر عن التوتر والقلق والاضطراب النفسى .

ولكن الأخطر أنها تعبر عن الناحية الفلسفية التى تسود أوروبا من إبهام أو غموض المنهج الذاتى للفلاسفة المعاصرين .

والحقيقة : أننا نشعر من هذه التيارات الجامحة التى نقف عليها الآن أن العقل بقواعده وقوانينه فى أوروبا قد (فر) من أحضان الفلسفة بمعناها الخاص واستكان فى أحضان المعامل للعلوم الطبيعية . وتلك (مأساة) عقلية .

الأمر الثانى :

والأخطر فى هذا الموضوع أننا نجد أصحاب (العلوم الطبيعية) الآن يدعون أن (فلسفة البنيوية) إنما قامت لتخدم (علم الطبيعة) ويشاركهم هذا الاعتقاد أصحاب الفلسفة البنيوية .

بدعوى : أننا لو أردنا أن نفرق بين الفلسفة البنيوية كمنهج عقلى وبين فلسفة العلم كمنهج عقلى لتعذر ذلك ، إذ أن العلاقة بينهما والاتصال وثيق .

من هنا : كان لابد لنا أن نقدم هذه « البنيوية » إلى الأذهان حتى يمكننا أن نفهم ما عليه العصر الأوربى من تفكير وفلسفة .

والحقيقة : أنى عندما حاولت أن أبحث عن علاقة البنيوية بفلسفة نيتشه (فلسفة القوة) فإننى لم أجد أى صلة فلسفية أو رابط منهجى بينهما . وشعرت أن هناك فلسفة عامة يقصد بها قتل كل شىء مجرد أو كل شىء جميل فى هذه الحياة .

إن الفلسفة المعاصرة تريد أن تلوث حياة الإنسان بسواد المادة والبعد عن كل ميتافيزيقيا وكل جانب روحى إنسانى .

فحينما أعلن فلاسفة (البنيوية) موت الإنسان كان ذلك فى إطار من السفسطة الفلسفية .

إذ أنهم قالوا إن الإنسان لم يمت موتاً (إكلينيكياً) أو (فسيولوجياً). وإنما مات موتاً (عقلياً) .

بل ردد المتفائلون من فلاسفة (البنيوية) أن الإنسان ما زال فى النزع الأخير .

إذن : نحن أمام فلاسفة خطها العام يدعى أن الإنسان قد مات . وخطها الخاص يدعى أن الإنسان فى طريقه إلى الموت .

إذن هى فلسفة تقول إن الإنسان فى الهاوية أو إلى الهاوية وكلاهما كلام غامض أحمق يأتى إلى الإنسان فى عصره الزاهى ويلونه بلون أسود كالح .

البنيوية والإنسان الآلى :

والملفت للنظر حقاً أن البنيوية قد روج لذيوعها فى هذا العصر أنها تزامنت مع ظهور الإنسان الآلى «روبوت» Rowpot فظهور (الروبوت) فى محيط الإنسان دل الإنسان الأوربى على أن البشر يمكن أن توجد لدية بدائل تعلن عن نفسها وأن القوة خارج الإنسان هى وحدها الإله الأعلى عند هؤلاء الملاحدة .

هذه النزعة التشاؤمية التى اتخذت من العلم التطورى التكنولوجى تكأة لترويج فلسفتها مالبثت أن ذاعت فى الأوساط الأوروبية فاستقبلت استقبال كل جديد بين عشية أوضحاها حتى صارت (البنيوية) على كل لسان كمظهر من مظاهر التقاليد المعاصر الفلسفى الجديد .

ورأينا كثيراً من الناس قد تعاملوا مع (البنيوية) كإسم أو كشىء جديد مثير بغض النظر عن مفهومه العلمى أو الفلسفى الجديد .

وآخرون قد تعاملوا معها بغض النظر عن الرؤية اللغوية عند علماء اللغة أو عند أهل المعرفة أو عند علماء الإنسان « الأنثروبولوجى » أو علماء التحليل النفسى « السيكولوجى » أو غيرهم .

إذ أن هؤلاء جميعاً لكل منهم زاويته الخاصة به لفهم معنى(البنيوية).

البنيوية والمجتمع :

وبينما العلماء فى واد يحددون معنى (البنيوية) نجد على أطراف الأقلام ولسان رجل الأعمال وعالم الاقتصاد والناقد الأدبى والمخرج السينمائى وكل فئات المجتمع تعبيرات عن (البنيوية) .

وكلهم يتحدثون عن (البنيوية) فى نطاق عملهم بل وجدنا رجل الإعلام يتحدث عن (إعلام بنيوى) (وقصص بنيوى) وأمور خاصة وعامة يتحدثون فيها عن المنهج أو التحليل البنيوى .

وأدى ذيوع (البنيوية) على هذه الأقلام اللافلسفية — إن صح التعبير — إلى تميع (المفهوم البنيوى الفلسفى) وذاب المفهوم البنيوى التحليلى فى نطاق التطبيق — إن صح التعبير — مما جعل بعض الباحثين يقول : « إن كلمة البنيوية كلمة نضفاضة لا تكاد تعنى شيئاً لأنها تعنى كل شئ »[1] .

ورغم تناقض هذه العبارة إذ أنها تثبت (العدم والوجود) فى وقت واحـــد .

فإننى أعذر هذا الباحث فى هذا (التناقص) لأنه يريد فقط أن يقول: إن ذيوع البنيوية عند المختص وغيره قد ميع وحدة التعبير والتعريف والمنهج « الأنثربولوجى » .

---

(١) راجع ص ٧ من ك (مشكلة البنية) د / زكريا إبراهيم .

دعوى التفلسف :

والذى زاد الأمر إشكالا فى قضية «البنيوية» أن رواد الفكر البنيوى من الفلاسفة الفرنسيين لوحظ عليهم أمر فى غاية الغرابة :

إذ بينما نجد الكثير من الفلاسفة حقيقة يرتاحون إن لم نقل «يبتهجون» لوصفهم بالفلاسفة. ولوصف أفكارهم بالفلسفة. نجدهنا أن «البنيوية» وأصحابها ينفون بشدة أنها «فلسفة» بل وينفون بشــــدة أنها «اتجاه» ويرفضون أن نطلق عليهم «فلاسفة» ويرفضون أن نطلق عليهم «رواد». وسنلحظ ذلك أثناء عرضنا للبنيوية . .

ولعلى لا أقفز حينما أقول : إذا كنا عند أخذنا (الوجودية) كمذهب منسوب إلى (سارتر) قد وجدنا التناقض موجود والترابط معدوم فى منهج (الوجودية).

فإننا رغم ذلك نقلناها على ما هى فيه لنقدمها إلى العقول العربية المسلمة لتعلم أن هذه التيارات فاسدة تماماً[1] .

ونحن هنا نحاول أن ننقل الصورة التى عليها «البنيوية» الآن سواء أنكرت أنها نظرية فلسفية أو أثبتت ذلك .

فمن قبل قالوا إن الوجودية «فلسفة» ونحن لم نوافقهم على ذلك وقلنا لهم إنه «تيار» لم ولن يصح يوماً أن يكون فلسفة عقلية ذات أهمية فى مداخل العقل الفاصل فى مفهوم الفلسفة .

---

(١) يراجع فى ذلك بحثنا: (الوجودية فى الميزان) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٨٥ م

وليست معنى أن البنيوية صارت واسعة المدلول . أنها قد صارت بلا مدلول .

إنها كلمة — عند البنيويين — تحوى الكثير من المعانى . حتى لقد قيل عنها : إنها — أى البنيوية — لفظ متعدد الدلالات .

وقد شبهها بعض الباحثين ببعض الكلمات المتعددة الدلالات مثل كلمة « الثقافة والعمل والقيمة » [١] .

ولكن الحقيقة أنى آخذ على هذا التشبيه أنه رغم تعدد الدلالات لمفهوم الثقافة والعمل مثلا فإن الوضوح فيه شاخص .

أى : أن البنيوية تتفق مع الثقافة والعمل والقيمة فى مفهوم (تعدد الدلالات) .

ولكن تنفرد عنها بمعنى أدق « لأن البنيوية كثيرة الالتباس والإغراق فى الوجود وقد لمسنا هذا الغموض أو الاتساع أو الضيق فى مفهوم البنيوية » .

إن الإنسان المعاصر فى أوروبا الحديثة لم يطلبها ولم يشعر بالحاجة إليها ولكنه عندما وقف على « البنيوية » استقبلها استقبالا رائعاً وروج لها .

وصارت « البنيوية » من فرط الإعجاب بها تحمل طابع العصرية أو المعاصرة .

---

(١) للثقافة أثر كبير فى (البنيوية) حتى صارت (مصطلحاً) بنيوياً ومعناها لا ينطبق على المعنى المتبادر من كلمة (الثقافة) . عند المثقفين .

ويؤكد الباحثون : أن السبب فى هذا الابتهاج بالبنيوية هو شعور الإنسان المعاصر بالحاجة إلى الالتصاق بوحدة واقعه الأوروبى الذى كاد التمزق أن يفتت هذه الوحدة الواقعية بسبب تعقد البيئة أو تعقد هذه الوحدة الأوروبية [١] .

والعلاقة بين تعقد الوحدة الواقعية وبين مفهوم البنيوية ونظرة الإنسان إلى الحفاظ على هذا الواقع علاقة وثيقة .

وقد صارت البنيوية تحمل تحقيق حلم العقل البشرى الذى حاول أن ينقذ نظامه العقلى من تمزق الوحدة العقلية فى أوروبا .

فتصور أن البنيوية هى البديل عن هذه الوحدة الذى تضمن له عقله وإشباع إحساسه بالنظام فى حياته . هكذا يدعى فلاسفة البنيوية .

المفهوم من البنيوية :

فإذا حاولنا أن نقترب الآن بعض الشىء من (مفهوم البنيوية) فإننا نجد أنها تعبير عن (الكل) الذى يمكن رده إلى (مجموع) أجزائه .

بل إن الفلسفة البنيوية فى حد ذاتها إنما تعبر عن ضرورة النظر إلى الموضوع لا على أنه موضوع ولكن على أنه نظام أو نسق أو بنية .

وليس لأنه نظام أو لأنه نسق مجرد أو لأنه بنية مجردة فقط بل لأنه فى « صورة » فيكون فى الإمكان إدراكها أو التوصل إلى معرفتها .

وغاية البنيوية كما نرى هى « ذات المعرفة » تلك هى التى جعلت بعض النقاد فى فلسفة البنيوية يذهبون إلى أن وراء الفلسفة البنيوية

(١) لعل فى اتجاه « أوروبا » إلى « الوحدة » الآن ما يشعر بالقضاء على مثل هذه الفلسفات المعاصرة التى يضيق بها « عقل » الإنسان .

« إبتومولوجيا » Eptamology أى « معرفه غير ظاهرة » غامضة تحل بموضوع وضعى جديد .

ونجد الفيلسوف الفرنسى « ليفى اشتراوس » رائد البنيوية المعاصرة لا يعجبه ما قيل من أن مفهوم البنيوية يوصل إلى قطيعة وعزلة معرفية مع كل فلسفة تأخذ نقطة انطلاقها من الذات أو (الكوجيتو) .

ويرد عليه بقوله :

[يجب علينا أن نفرق بين مفهوم كلمة (معاش) وبين كلمة (الواقع)]

ويؤكد (ليفى) أن كلمة (المعاش) تعنى عنده : البحث وراء مطالب الإنسان اليومية .

وكلمة (الواقع) تعنى تلك الحياة العريضة الممتدة التى يحياها الإنسان فى نفسه وفى مجتمعه وفى بيئته وفى فلسفاته وتأملاته وغده وأمسه وحاضره فى ارتباط وشيج يعيش معه الإنسان بأشجانه .

والتعايش مع (الواقع) قضية خطيرة تحتاج إلى بناء قوى .

من هنا لفت النظر (ليفى شتراوس) إلى أنه ينبغى أن ندير ظهورنا للمعنى الضيق الذى يفهم من كلمة (معاش) من أجل أن نتوصل إلى المفهوم الأعم والأوسع فى كلمة (الواقع) .

وعلى هذا الأساس نجد (ليفى) لا يرتضى كل من (الفولومولوجيا) Foulomology والوجودية أيضاً .

ويعلل : رفضه لهاتين النزعتين أن كلا منهما يسلم بوجود استقرار أو اتصال بين المعاش والواقع فى حين أنه لا سبيل فى نظر شتراوس إلى بلوغ الواقع إلا : الانطلاق من عملية تنمية فكرة المعاش .

ويقول :

إنه لابد أن يتنحى المعاش أو المفهوم فى المعاش حتى لواقتضى الأمر

معاودة إدماجه في نسق موضوعي يكون قد تم تطهيره من كل شوائب النزعات الوجدانية .

رفضه للوجودية :

وإذا حاولنا أن نسأل (ليفي شتراوس) لماذا يرفض الفلسفة الوجودية . . ؟ نجده يجيب : لأنها تمثل في نظرة البنيوية تفكير غير مشروع إذ أنها تحرض الإنسان على نوع من التفكير يجعله يعيش في (أوهام الذاتية) .

ويؤكد (ليفي شتراوس) أن الوجودية تحاول أن تأخذ بعض الاهتمامات والمشكلات الشخصية الذاتية ! وترتفع بها إلى مستوى تجريدي لا نعرف منها نوعاً من المشكلات الفلسفية .

وهنا يرى (ليفي شتراوس) أن الوجودية في هذا خاضعة للذاتية وأن دراساتها التحليلية توضح تهافتها .

ولسنا ننكر هنا نقد ليفي شتراوس للفلسفة الوجودية على هذا النحو القوي الذي طبعاً نوافقه عليه ولا شك .

ثم نجده يشيد بنظرية التحليل النفسي والتحليل الماركسي ! . . . ولست أدري هل يهم هنا كثيراً أن نقول إن الوجودية ليس من بين فلاسفتها رجل يهودي — اللهم إلا الإعجاب بسارتر وماركس — وأن رجل التحليل النفسي فرويد رجل يهودي وكارل ماركس رجل يهودي .

وهنا نجد ليفي شتراوس اليهودي يشيد بنظريات أفكارها وفلاسفتها (يهود) .

وقد يدهش الإنسان لتأرجحه في إطار التحليل النفسي أو التحليل الماركسي .

فهو يؤكد أن منهجه في الدراسات العلمية يقوم على هذه الأمور : —

[التحليل النفسى ، التحليل الماركسى ، الجيولوجيا] وهى تقوم على نوع خاص من الفهم .

ثم يوضح معنى الفهم بإعجاب فيقول :

[إن هذا الفهم يوضح نمطاً من الواقع ويردواقعاً إلى واقع . ويستمر إلى أن يصل إلى مايسمى عند ليفى شتراوس (بالواقع الحقيقى) .

وأرجو : ألا يتبادر للذهن أن (الواقع الحقيقى) عند (ليفى) هو ما يراه الإنسان أو يمسه .

لأن هذا النوع من الواقع إنما يسميه ليفى (الواقع الظاهرى) أى المباشر .

ولكنه يلجأ إلى قضايا فلسفية قديمة قد لا نبالغ عندما نقول : إنها من (بقايا) الفلسفة اليونانية أو العصر الهيليني .

فنجده يتحدث عن (نظرية الحق) وعن طبيعة الحق فيقول :ـ

(إن الواقع الظاهرى لهذا الحق من شأن طبيعته ألا يظهر فيه الحق هكذا بالطريق المباشر إنما يظهر الحق من خلال تعمق الإنسان بجهد فكرى يبذله فى الهرب من الواقع المباشر إلى الواقع الحقيقى) [١] .

وهذا أمر غامض يحتاج إلى نوع من التأمل . حينما ينظر الإنسان إلى الواقع الحقيقى ثم يخرج منه بحقيقة عن طبيعة الحق .

يقول ليفى شتراوس : إن الحقيقة الطبيعية فى الحق فاشية ظاهرة .1.

ولهذا نجد (ليفى) يقيم تقابلا بين (المحسوس) وهو السطح الظاهرى الواقع الظاهرى وبين (المعقول) وهو النظام الخفى الذى يراد له ألا يكشف عن طبيعة الحق .

---

(١) راجع صـ ٢٥ من ك (مشكلة البنية) د/ زكريا إبراهيم .

وهنا يشرح بعض الباحثين فكرة (ليفى شتراوس) من هذا التقابل فيؤكد أنه يفعل ذلك لكى يضفى على هذا المعقول صفة (الحقيق) مؤكداً فى الوقت نفسه إلى ضرورة الوصول إلى عقلانية بنيوية تكون بمثابة عقلانية صوتية [١].

والحقيقة أن فهم كلمة (معقول) وتفسيرها بأنها(معقول النظام الخفى) به اضطراب . فكلمة الخفاء هنا تحتاج إلى بعض التوضيح .

بمعنى هل خفى على الإنسان الناضج ؟. أم خفى على نفس النظام لأن النظام نفسه خفى . ؟... [٢]

ومن الملفت للنظر أن (ليفى) كان يدرك أنه لابد للبنيوية من أن تجىء يوماً (ما) فتحل محل (النزعة الذرية) .

وقد امتدح أحد فلاسفة الوجودية(البنيوية) فكتب مقالا يقول فيه :

[إن هناك نظاماً عقلياً بأكمله قد أصبح يتحدد بظهور مفهوم البنيوية حتى وجدنا ذلك المفهوم يأتى اليوم من النجاح فى كافة المجالات .

مما يدل على أنه يشبع حاجة عقلية هامة من حاجات عصرنا لأن البنيوية تكشف أمامنا طريقاً جديداً ينآى بالفكر عن محور الذات والموضوع].

والحقيقة : هنا أننا نجد نفس الغموض فى فلسفة البنيوية لأنه إذا لم تكن فلسفة ذات موضوع فأين مجالها ؟؟ وأين منهجها ؟؟!!

بل يعلن (بوند) فى قوة وإعجاب إنفصام الفلسفة البنيوية عن الفلسفات

---

(١) للصوت واللغة . . مكانة كبيرة فى (الفلسفة البنيوية) . باعتبار فكرة « النسق » .

(٢)وهنا نأتى إلى سؤال هام هل ثمة اتصال بين مايقوله (ليفى شتراوس) وبين مشكلة (السببية)؟؟ لعله يتحدث عن أمر واضح فى أسلوب غامض .

الأخرى لأنها تخالف الفلسفة إبتداء من (ديكارت) حتى(برجسون). لأنه يرى أن الفلسفة من (ديكارت) حتى (برجسون) سيطرت عليها الذات أو الموضوع.

ويؤكد (باردس) pardes وهو أحد فلاسفة البنيوية أنه لا يوجد لديه مانع من التسليم مع (مورلو بوند) من أن (البنيوية) قد تفتح أمام الفكر البشرى المعاصر آفاقاً جديداً ذات أبعاد واسعة.

ولكنه يؤكد بأن السر فى هذا الفتح الكبير الذى جاءت به (البنيوية) إنما تحقق لأنها صارت (اللغة الشارحة) لكل حضارتنا المعاصرة.

ما هو مستقبل البنيوية ؟؟.

وهذا التساؤل أمر وارد فرضه فعلا وجود الفلسفة البنيوية كذات فلسفة محددة لأنها تتحدث عن موت الإنسان وموت الذات وموت التاريخ بل وموت الفلسفة نفسها.

فبالله لو أن فلسفة تتحدث عن موت الفلسفة فما بقى فيها ؟ !. .وإن موت باقى الأمور المعيارية على النحو الفلسفى لم يمهد فى أى مجال فلسفى.

فماذا يكون قد بقى ؟ ...

يعنى لو قيل عن أحد فلاسفة الفلسفات القديمة (لقد أمات فلسفته) وظل يغنى على أطلالها. إن صح هذا التعبير. أى مستقبل هذا !!!

أى فلسفة فى هذا الدمار ؟ ! وهذه الهاوية العقلية ؟ أو ماذا يراد فى الحضارة البشرية المقبلة ؟.

هذا قول الرواد فى « فلسفة البنيوية » أن لا مستقبل لها لأنها تحدثت عن (نهاية العالم) أو الإنسان.

---

(١) ولاشك أن هذه [الدعوى] كاذبة.

أى : أن المستقبل فى الفلسفة البنيوية إذن أنها ليس لها مستقبل لأنه « مستقبل ميت » .

وعلى الطرف الآخر نجد من يقول إن البنيوية حركة (علمية) ذات دلالة فكرية هامة وتؤدى خدمة جليلة للحضارة العريقة الواقعية .

ومن هذه وظيفته لايمكن أن يختفى فى المستقبل القريب أوالبعيد لأنه طالما أن له وظيفة فى الحياة أو وظيفة فى الفلسفات فلابد أن يرد هذه الفلسفات بقوة — ومن هنا فإنها لن تختفى .

وهكذا نجد أنفسنا بين رأيين متناقضين:

١ — قول يرى أن البنيوية مستقبل العالم.

٢ — وآخر يرى أنها لاتمثل شيئا لأنها لامستقبل لها لأنها تتنبأ بأن العالم لامستقبل له .

وقد وقف كثير من الفلاسفة على هذا التناقض ونقدوه عندما قالوا : إن البنيوية هى لسان حال ذلك الإنسان المعاصر الذى لم يعد يؤمن بالفلسفة ولكنه مع ذلك يأبى إلا أن يكون فيلسوفاً .

إن الكثير من الفلسفات المعاصرة . يدعو أصحابها من المتشككين فى جدوى التفلسف إلى العلوم الطبيعية لعلهم يجدون نماذج أو هيئات أو مخططات تسمح لهم بالتخلص نهائياً من كل (ميتافيزيقى) .

وهنا نصل إلى وجود الجانب الإلحادى فى منهج البنيوية .

إن البنيوية كفلسفة أواتجاه لا علاقة لها بالجانب الميتافيزيقى وهذا يهمنا جداً فى فهم المسلمين للبنيوية .

لأنها تغذى هذه العلاقات المادية من أجل التخلص نهائياً من كل (ميتافيزيقى) توطئة : لإعلان (الإلحاد) ملفوفاً بدعاوى العلم .

إن البنيوية لاعلاقة لها على الإطلاق بكل جانب ميتافيزيقى . أى : بكل (ماوراء الطبيعية) من ألوهية ونبوات ... بل : وروح ...

ولعلى هنا أستطيع أن أقول: إن البنيوية فى حقيقة أمرها لاتؤمن بالروح ولا بالإله . ولا تتجه للبحث فيهما ولا تحفل بالقضايا التى تدور فى فلكهما ولاتؤمن بقضايا ما وراء الطبيعية ولا بكل الأمور المجردة .

فهى فلسفة عقيمة فى الجانب الميتافيزيقى ولاترتبط إلا بالجانب الطبيعى المادى . وليست البنيوية من ذلك النوع من الفلسفات الطبيعية كالعلم الرياضى الذى اتخذته أساساً لها .

ونشير هنا إلى أن (العلم الرياضى) صار بداية أو منطلقا أو منهجا فى الفلسفة البنيوية . ولعله استفاد من التحليل الرياضى عند (براتراندرسل) وماشابهه فى (نظرية التحليل الرياضى) .

ورغم أنها اتخـــذت التحليل الرياضى فإن البنيوية لم تقف على مشكلة العلوم الطبيعية فقط واعتبرت نفسها فلسفة رياضية أو منهجية . أو تحدثت عن النسق أو النظام الرياضى . أو تناولت تكون الاتحاد العنصرى الواقعى بين طبيعة المواد الطبيعية والتحليلية بحيث تحولها إلى نظرية ترث النظرية الذرية وعندئذ : يكون لا مشكلة ...

ولكن هذا أمراً لم يكن واردا على الإطلاق إذ ظهر كأنما الفلسفة البنيوية . جاءت من أجل تحقيق غاية محددة . وهى : إنكار الجانب الميتافيزيقى .

ولعلى هنا أؤكد: أننا قد نلمح الشبه الكبير بين فلسفة البنيوية وفلسفة الوضعية المنطقية[1] .

---

(١) الوضعية المنطقية : هى اتجاه فلسفى معاصر يقوم أساساً على التجربة تحقيقاً للدقة والتحليل المنطقى للغة العلماء ولغة الحديث (التخاطب) =

ومن هنا : فإن البنيوية تتجه مباشرة إلى المشتغلين بها إلى التحرر من كل (الأيديولوجيات) . والعمل على التواجد فى نطاق المادة وحدودها، وتوصف هذه الأرض البنيوية على لسان ليفى شتراوس :

[بأنها أرض لم يعد يشيع فى أجوائها عفن المثالية] .

والوصف بهذا التعبير : « عفن المثالية » .

إذن قضية المثالية أو النموذج كما يراها ليفى شتراوس إنما تصادم الفلسفة البنيوية .

ونحن نقول له : إن البنيوية بمعنى النسق كما يقول هو أو النظام أن النسق هو قمة (المثالية) يعنى : تجميع الأجزاء .

والمراد من المثالية هنا Idealisn فتجميع الأجزاء هو قمة المثالية فى أى كون عنصرى طبيعى .

فهو إذا أردنا أن نفك عبارته فى تعبير آخر كأنه يريد أن يقول :

أنا أريد أن أتخلص من المثالية بالمثالية . ويقصد بالمثالية النسق وقضيته هنا : قضية متناقضة .

والقضية الثانية : من قضايا التناقض هنا أنه يرى أنها تقضى على

= وأصحابها يعدونها المصدر الوحيد للمعرفة وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها ، ثم تحولت الوضعية المنطقية إلى دراسة تحليلية منطقية للغة العلم لتحقق وحدة مشتركة من فروع العلوم المختلفة .

راجع مادة (وضعية) فى المعجم الفلسفى . إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الجانب الميتافيزيقى فإنها أيضا تريد أن تقضى على الجانب الأيديولوجى .

وإذا كانت الميتافيزيقيا هى أيديولوجية العقائد فإن الأيديولوجية المجردة : هى عقائد الآراء والفلسفات الأخرى .

وهنا ننبه إلى أن البنيوية التى ادعى (ليفى شتراوس) أنها جاءت لتحطم الأيديولوجيات . إنما جاءت لتخترع فلسفة جديدة منطقية للأيديولوجية الماركسية .

إذ بينما هنا يؤكد إنكار الأيديولوجية . نراه هناك يؤكد أن البنيوية إنما جاءت لتقدم إلى الماركسية منهجا كانت تحتاجه فى زمن ضعف مصداقيتها[1] .

وإذا كانت الفلسفة البنيوية قد بعدت عن الجانب الميتافيزيقى والجانب الأيديولوجى والكثير من الجوانب الفلسفية الأخرى فإنها اقتربت جدا من مجال علم الاجتماع لارتباطه بالواقع .

ومن هنا كان مفهوم البنية أو البنيوية فى المجال الاجتماعى يشير عادة إلى التركيب أو البناء .

فالعلاقة وثيقة جداً بين علم الاجتماع بمعناه المادى والفلسفة البنيوية .

لكن علم الاجتماع لا يعرف من (البنيوية) ذلك التركيب أو البناء المطلق فى التركيب الظاهرى على طريق الاجتماع أو التحلل أو الاختصار .

إذ أن علم الاجتماع يعرف البنيوية على أنها تركيب وبناء من نوع يكون من إنشاء الفكر العقلى .

---

(١) لاشك أن هذه الفكرة كانت قبل (البروسترويكا) التى عصفت (بالماركسية) .

وهذا أمر عجيب حقيقة وهذا هو السبب أن دعاة البنيوية الاجتماعية لايعجبهم الكثير من (تعريفات) البنيوية .

وإذا كنا قد علمنا أن كلمة البنيوية تشير إلى (التركيب) أو (البناء) فإنها فى علم النفس تختلف فى معناها لأنها تشير إلى أن (كلمة بنية) ترادف أو تساوى كلمة (صورة) أو (شرط) .

فالبنيوية هى (الاشتراطية) لكنها تزيد عنها بأنها تبين أهمية أو تشجع على أهمية شبكة العلاقات القائمة بين العناصر .

ولعلنا بمفهوم (البنية) عند بعض علما الاجتماع وعلماء النفس نكون قد اقتربنا بعض الشيء من مفهوم(البنية) لدى بعض رجال المدرسة الاجتماعية البنيوية .

فإن لدى الاجتماعيين البنيويين نجد أن البنية تتسم بنوع من (الجبرية) والجبرية هنا بمعنى (الحتمية) .

وإذا أردنا أن نستخرج تعريفاً لمعنى البنية الجبرية فإننا نلمس تعريفاً لأحد علماء الرياضة المعاصرين يقول : [إن البيئة الجبرية مجموع يتألف من أية عناصر كائنة ماكانت ولكنها عناصر يتحدد فيما بينها (قانون) أو قوانين تتحكم فى صياغتها وتكوينها وشتى عملياتها .

أما مجموع الشروط التى لابد من توافرها فى تلك العمليات فهى تؤلف مااصطلحنا على تسميته باسم (أوليات) ، أو (بدهيات البنيوية) يعنى بذلك أن تتعلق البنيوية كما ترى بالوسط الرياضى .

لدرجة أنهم يريدون أن تخضع نفسها لأوليات أو بدهيات الرياضة وهذا تحكم فى أوليات (العلم) وقوانين البداهة .

ولعلنا الآن بحاجة إلى بيان « معنى البنيوية » . حتى نتمكن من إدراك « مقولات » الفلسفة البنيوية . .

معنى البنيوية

ما معنى البنيوية .. ؟ .

قبل أن نشرع فى الإجابة عن هذا التساؤل : ينبغى علينا أن نعلم ما هى : البنية .. ؟ .

قد تعنى كلمة (البنية) فى اللسان العربى : الشىء على النحو الذى هو (كائن) به : أى : تكوينه وبناءه . المشاهد المحسوس. إشتقاقاً من (البناء) المادى الذى فيه معنى (التشييد) .

تقول العرب :(بنى الشىء) بنياً وبناء وبنياناً : أقام جداره ونحوه.. يقال بنى السفينة وبنى الخباء[1] . والبيان : الحائط . و (البنية) على فعيلة : الكعبة المشرفة . يقال : لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا . و (البنية) : الفطرة[2] .

ولكن (البنية) قد يراد بها المعنى المجرد عن الشكل البنائى للجدران . وتأتى فى مدار معنى (الكيف) الكلى المشتمل على كيفيات جزئية .

ولكن هذا الجانب فى معنى (البنية) إنما يكون عن طريق المجاز اللغوى المعتبر .. [وقد استعمل — البناء — مجازاً فى معان كثيرة . تدور حول : التأسيس والتنمية . يقال : بنى مجده . وبنى الرجال . قال الشاعر :

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى
شتان بين قرى وبين رجال

---

(١) راجع مادة (بنى) حـ ١ من المعجم الوسيط .
(٢) راجع مادة (بنى) من مختار الصحاح .

وبنى الطعام جسمه وبنى على كلامه : إحتذاه واعتمد عليه] [١] .

وفى (المعجم الفلسفى) نجد أن معنى (البنيان) (Structure) ما تكون عليه (أجزاء) الكل مادية كانت أو معنوية . بحيث تتضامن فيما بينها وتكون «كلا» قائماً بذاته . ومنه البنيان الفوقانى :

(Superstucture)

وهو : الطبقة العليا القائمة على الظواهر الاقتصادية التى تتحكم فى سير المجتمع كالنظم التشريعية والسياسية على نحو ما ذهب إليه (ماركس) .

أما (البنيانية) أو البنيوية . (Structalism.) فهى اتجاه ينصب على دراسة العناصر الكلية . أو أحداث التاريخ الكبرى . ومنه البنيانية السيكلوجية ... والبنيانية التاريخية . ويطبق فى الدراسات اللغوية .. [٢] .

وهذا المعنى قريب من نزعة (الجاشطالت) (Gestaltism,) .

وهى : نظرية سيكلوجية (نفسية) فى أساسها تذهب إلى : أن إدراك الأشياء إنما ينصب على (الكل) لا على العناصر والأجزاء . فالطفل يدرك الحيوان - مثلا - فى جملته لا فى أجزائه ..

وتوسع فيها إلى حد القول : بأن الظواهر البيولوجية والطبيعية لا ينظر إليها إلا على أنها عناصر وأجزاء منفصلة . بل هى (كل) ومجموعات لها : وحدتها الذاتية] [٣] .

---

(١) راجع مادة (بنى) من المعجم الوسيط .
(٢) راجع مادة ٢٠٦/٢٩٥ من المعجم الفلسفى نشر مجمع اللغة العربية .
(٣) راجع مادة رقم (٣٦٢) من المرجع السابق .

ولذلك : أستسيغ التحدث عن (بنية المجتمع) أو (بنية الشخصية) أو (بنية اللغة والكلمة) .

وقد كان هذا بارزاً عند علماء اللسان العربي عندما فرقوا بين : المعنى والمبنى . فإنهم كانوا يعنون بكلمة (مبنى) ما يعنيه اليوم بعض علماء اللغة بكلمة (بنية) .

وإذا أردنا أن نعلم معنى (البنيوية) عند فلاسفة الغرب فإننا نجده [في اللغات الأجنبية . أن كلمة Structure مشتقة من الفعل اللاتيني Struere بمعنى : يشيد ويبني .

وحين تكون للشيء (بنية) في اللغات الأوربية . فإن هذا يعني - أولا وقبل كل شيء - أنه ليس بشيء غير منتظم أو عديم الشكل Amorphe . بل هو : موضوع منتظم له (صورته) الخاصة . ووحدته الذاتية .

وهنا يظهر نوع من التقارب الأولي بين معنى البنية ومعنى الصورة .

Forme . ما دامت كلمة (بنية) في أصلها تحمل معنى: المجموع أو «الكل» المؤلف من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ويتحدد من خلال علاقته بما عداه ...

وإن لكلمة (بنية) استعمالات خاصة في العلوم المختلفة من رياضة . ومنطق . وفيزياء . وعلم أحياء . وأنثروبولوجيا . وعلم نفس . ولغويات إلى آخر هذه العلوم .

ولكن من المؤكد أن أبسط تعريف للبنية هو أن يقال : إنها نظام أو نسق من المعقولية .

فليست (البنية) في صورة الشيء أو هيكله أو وحدته المادية الذي يربط

أجزاءه فحسب . وإنما هى أيضاً : « القانون الذى يفسر تكوين الشىء ومعقوليته ...

وإن البنيويين حينما يبحثون عن (بنية) هذا الشىء أو ذاك . فإنهم لايتوقفون عند المعنى التجريبى الذى يضعه الواقع بين أيدينا ... بل إنهم يهدفون أولا وقبل كل شىء إلى الكشف عن « النسق العقلى» الذى يزودنا بتفسير للعمليات الجارية فى نطاق مجموعة بعينها ..[١]

معنى النسق : [٢] .

إن معنى « النسق» فى اللغة هو : ما كان على نظام واحد فى كل شىء . والنسق فى معيار : علوم الطبيعة والكيمياء : جملة من العناصر يعتمد بعضها على بعض بحيث تكون « كلا » منتظما . ومنه : النسق الشمسى وشهرته : (المجموعة الشمسية) . . ومنه : النسق العصبى . وشهرته : الجهاز العصبى .

والنسق فى اللغة والعلوم النظرية : جملة أفكار متآزرة ومرتبطة يدعم بعضها بعضا مثل : نسق أرسطو . ونسق ديكارت ويسميان : مذهبا .

ومنه : الذهن النسق . وهو الذهن المرتب المنطق [٣] .

وإذا علمنا معنى (النسق) أمكننا أن ندرك تعريف (البنيوية) عند [جان بياجيه] العالم السويسرى حيث يقول :

---

(١) راجع صـ٣٢ منك (مشكلة البنية) د/زكريا إبراهيم .

(٢) كانت كلمة (النسق) هى إسم (البنيوية) قبل ظهورها فى (مؤتمر براغ) الذى عقده علماء اللغة سنة ١٩٢٩ م .

(٣) راجع مادة رقم ١٠٤٥ من المعجم الفلسفى نشر مجمع اللغة العربية.

«إن البنية هي نسق من التحولات . له قوانينه الخاصة باعتباره نسقاً . في مقابل الخصائص المميزة للعناصر .

علماً : بأن من شأن هذا (النسق) أن يظل قائماً ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه (التحولات) أن تخرج عن حدود ذلك النسق[1] .

مكونات البنية :

وهذا التعريف للبنية يوقفنا على أنه لابد لكل (بنية) من أن تتكون من الأمور التالية :

١ - الكلية .

٢ - التحولات .

٣ - التنظيم الذاتي .

أولا : الكلية : ويقصد بها : أن (البنية) لاتتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن (الكل) بل تتكون من عناصر داخلية خاضعة لقانون النسق .

وقانون علاقات (الأجزاء) في هذا الكل . ليس إلا قانون النسق نفسه أو (المنظومة) نفسها .

ثانياً : التحولات ، ويقصد بها : سلسلة من التغيرات الباطنة[2] التي

---

(١) راجع ص ٣٣ من ك : (مشكلة البنية) .

(٢) الباطن عند (البنيوية) : هو : الانفعال الصادر عن « حركة » النسق .

تحدث داخل النسق . مع خضوعها فى نفس الوقت لقوانين (البنية) الداخلية . دون احتياج إلى عوامل خارجية .

والبنية لا يمكن — عند أصحابها — أن تظل فى حالة سكون مطلق . بل هى دائماً فى حالة (تغير) دائر فى نطاق (النسق) .

وهذا يوصل العلاقة بين مفهوم البنية ومفهوم (التغير) .

ثالثاً : التنظيم الذاتى ، ويقصد به : أنه يمكن لكل (بنية) أن (تنظم) ذاتها تلقائياً بنفسها . وهذه القدرة على (التنظيم الذاتى) يحفظ للبنية وحدتها وبقاءها . ويحمى (الانغلاق) الذاتى .

وبذلك : تكون (البنية) هى القانون الذى يجعل منها أنسقة مترابطة تنظم ذاتها فى نهج خاضع لقانون (الكل) .

وتؤكد (الفلسفة البنيوية) أنه ليس معنى (الانغلاق الذاتى) هنا : منع (البنية) الواحدة من أن تندرج فوق أو تحت (بنية) أخرى أوسع . مهما اختلفت دوائر الاندراج[1] .

وترتكز عملية (التنظيم الذاتى) عند (البنيوية) على ضرورة المحافظة على : الإيقاعات وتنظيم عمليات مستمرة . [وهذه كلها عبارة عن آليات بنيوية تضمن للبنيات ضرباً من الاستمرار أو المحافظة على « الذات »][2] .

---

(١) يقصدون مشابهة الاندراج هنا مثلما يندرج (النوع) تحت (الجنس) وفوق (الفصل) .. مثلا .. فى المنطق الأوسطى .

(٢) راجع ص ٣٩ من ك (مشكلة البنية) .

تعريف ليفى شتراوس :

وإذا ذهبنا نتلمس تعريف كبير فلاسفة البنيوية للفلسفه البنيوية نجده يذهب إلى أن :

[البنية كل يحمل طابع النسق أو النظام . لأن البنية تتألف من عناصر يكون من أثر تحول عنصر منها إحداث تحولات فى باقى عناصر الكل].

ويشرح (ليفى شتراوس) هذا التعريف . فيؤكد أن كل الظواهر تنبىء عن شىء مشترك يربط بينها . وهذا الشىء هو (البنية) . التى هى فى الحقيقة العلاقات الثابتة القائمة فى صورة (قوانين) . وإن الوصول إلى (قوانين) هذه العلاقات والتى تتسم بصفة (البساطة) بينما (الأشياء) تتشح بالغموض والتعقيد .

وبذلك نجد أن (ليفى شتراوس) يرى : أن النظر إلى (الظاهرة) لا يكون بطريقه مستقلة لكل ظاهرة .

وإنما يذهب إلى ضرورة (مقارنة) الظواهر بعضها ببعض . . لإدراك : التباين أو التوافق .

ويجب أن تأخذنا (المقارنة) إلى (الغاية) الحقيقية التى ترتكز فى هذه الظواهر . . وهذه هى (الدلالة) التى تفسر (الظاهرة) . .

وبهذا يؤكد (شتراوس) أن (الفيلسوف البنيوى) يجب أن يقصد لأكثر الظواهر الإنسانية تعقيداً أو (تعسفاً) أو حتى (اضطراباً) . حتى يصل إلى : الكشف عن (النسق) . أو النظام الذى (يكمن) وراء هذه الفوضى .

وهذا « الكشف » يوصلنا إلى (البنية) التى تتحكم بنسقها فى نظام العلاقات الباطنية للأشياء .

ويقول ليفي شتراوس في كتابه (الأنثروبولوجيا البنيوية) [إن المبدأ الأساسي هنا هو أن مفهوم البنيوية لا يرتد إلى الواقع .. بل يرتبط بالنماذج ...

ولابد لكل (نموذج) إذا أريد له أن يستحق بجدارة إسم (البنية) أن يكون مؤلفاً لنسق أو لنظام من العناصر . بحيث إذا تغير (عنصر) واحد فيه . أوجد التغير في باقي العناصر . وأن يكون مندرجاً تحت (مجموعة) من التغيرات ...] .

ولعلنا بهذه الإلماحة السريعة إستطعنا أن نقف على معنى (البنيوية) مع قناعتنا بأن الأمر سيزداد انكشافاً من خلال عرض (الفلسفة البنيوية) . عند « ليفي شتراوس » .



الفلسفة البنيوية
عنـــد
كاود ليفى إشتراوس

إذا أردنا أن نتعرف على الفلسفة البنيوية فإننا لايمكن أن نلجأ إليها إلا من خلال شخصية مرموقة فى (الفلسفة البنيوية) .

وهذه الشخصية طريفة عجيبة لأنها تأبى أن تتعلق بوصف (الفيلسوف البنيوى) ولا تريد حتى أن تسمى (البنيوية) (فلسفة) .

من هنا نجد: أن عرضه للفلسفة إنما (يتأتى) عرضاً فى إطار (العلم) الذى هو فى الحقيقة (الفلسفة البنيوية) .

وإن الناظر يبدو له من الوهلة الأولى أن هناك عداءاً ظاهرياً للفلسفة وعالمها عند (كاود ليفى إشتراوس) فإنه يهجم على الفلسفة ويهاجمها ويبرأ منها ويرى أنها قد تكون السبب فى تأخير الفكر الإنسانى والعقل البشرى .

وهو لايرى أن يقدم فلسفته البنيوية كمواقف فلسفية أو نظرات تأملية وإنما يصر على أن يقدم الفلسفة البنيوية كعالم لا كفيلسوف .

ولكن هذا الاتجاه الذى أراده لم يسلم له فإن مؤلفات « كاود ليفى إشتراوس » تتضمن حواراً مستمراً نقدياً فى طابعه متسقاً مع الفكر الفلسفى خصوصاً مع (فلسفة الظاهرات) التى جاء بها (هورسل) .

كما أن فكره متفق فى كثير من جوانبه مع الفلسفة الوجودية التى حقق ذيوعها (جان بول سارتر) .

بالإضـــافة إلى أن نظرية (البنيوية والإنثربولوجيا) التى جاء بها

(ليفى إشتراوس) فإن المتأمل فيها يجد أنها لاتخرج عن أن تكون جزءاً من النظرية العامة (للرموز) وتأملاته عند الفكر البدائى والمتمدن وهذه النظرية لا تبعده كثيراً عن عالم الفلسفة .

فإذا أضفنا إلى ذلك أيضاً موقف (شتراوس) من التاريخ وعلاقة فلاسفة الماركسية به أمكن أن نتبين كيف أن البعد الفلسفى عند (شتراوس) موجود رغم أنه ينكره .

ويمكن أن نجمل فلسفته الأساسية التى عنى بها فى مؤلفاته فى أنها كانت متمثلة فى محاولاته : تحديد موقع الإنسان من النسق الطبيعى .

فعلاقة الإنسان بالنسق الطبيعى عند (شتراوس) هو ذلك الخط الأساسى الذى شغله فى حياته العلمية الفلسفية .

ولا شك أن هذه المحاولة فى حد ذاتها هى (محاولة فلسفية) بغض النظر عما تنطوى عليه من موقعها من الواقع أو من الحقيقة العلمية .

وعموماً : فإننا يمكن لنا أن نعتبر [كاود ليفى شتراوس] ضمن فلاسفة الحضارة الغربية المعاصرة أمثال « توينبى » و « ميثور » و « ألبير شيفترز » و « بير ديانيف » و « ماركيوز » وغيرهم .

فهؤلاء ومعهم (شتراوس) إختلط لديهم الموقف العلمى بالموقف الفلسفى ، وهذا يتيح لنا إمكانية تناول الفكر الفلسفى عند « شتراوس » مهما طاب له أن يضع نفسه بين زمرة العلماء .

ومما يلفت النظر فى فلسفة (شتراوس) أن أى باحث عندما يريد أن يستعرض فلسفته فإنه يحس أنه أمام فيلسوف بالمعنى المتعارف عليه فقد شن حملة على الفلسفة والفلاسفة وآثر دراسة (الأنثربولوجيا) أى : علم دراسة الإنسان .

وإذا أردنا أن نطرح سؤالا هاماً يقول :

« هل دخل [ليفى شتراوس] عالم الفلاسفة من خلال نقده لهم أم دخل [شتراوس] الفلسفة من خلال عالم الأنثربولوجيا ؟ .

والحقيقة أنه يجب أن نأخذ فى اعتبارنا عند محاولة الإجابة على هذا السؤال الحياة الخاصة (لليفى شتراوس). لأنها تدلنا على أن (تحديد) هذه الفكرة أمر صعب . .

لقد ولد شتراوس سنة ١٩٠٨ فى بلجيكا من عائلة يهودية يعمل عائلها رساماً ، وفى طفولته كانت تثــير خيالاته قصص وحكايات المكتشفين الأوائل والهنود كما كان يهوى جمع الموضوعات الغريبة والشاذة .

وفى شبابه جذبته الطبيعة بمناظرها ثم سيطرت عليه الموسيقى الكلاسيكية وبصفة خاصة موسيقى (فاجنر) .

وخلال فترة الحرب العالمية الأولى أمضى بعض الوقت بمنزل جده بمدينة « فرساى » وفى عام ١٩٢٠ إلتحق بجامعة « باريس »لدراسةالقانون وعلى الرغم من أن أصله (يهودى) واضطراره إلى مغادرة فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية وأنه لمس الفترة التاريخية لعداء اليهود التى سرت فى ألمانيا فإنه حاول أن يتجنب فى مؤلفاته الأسس العبرية فى الفكر اليهودى، ولم يحاول أن يسقط يهوديته على شىء من تأملاته أو تجاربه أو أى مقال أو مؤلف بل نجد فى نطاق دراسته (للأنثروبولوجيا) أنه لم يحاول أن يلمس العلاقة اليهودية فى المجتمع المسيحى الغربى . رغم أنه كان يعلى من شأن علماء اليهود بطريق غير مباشر ،

ورغم أن (شتراوس) بدأ بدراسة القانون فإنه فتر عنه متصوراً أن دارس القانون يتسم بالعدوانية والقهر وماشابه ذلك .

ومن هنا : كان اتجاهه لدراسة الفلسفة .

والطريف حقاً : أنه درس الفلسفة دراسة كاملة فى جامعة (السوربون) وحصل على درجة الليسانس فى الفلسفة .

ولفت نظره أنه رغم دراسته جميع النظريات الفلسفية عبر تاريخ الفلسفة فى السوربون إلا أنه أساتذته لم يقدموا له الفلسفة المعاصرة مثل فلسفة ، ماركس ، أو ، فرويد ، [1] وهذان قد حازا إعجاب (شتراوس) وجعله يحس أن منهج الدراسة الفلسفية فى (السوربون) قد تجنت عليهما .

وسجل (شتراوس) تقديره لمنهج الدراسة الفلسفية فى (السوربون) بأنه منهج (جاف الروح) واعترف بأنه لم يستطع تقبل النزعة الشكلية الخالصة التى اتبعت فى دراسة الفلسفة من خلال طرح التساؤلات الفلسفية وحلولها بعرض رأى ونقيضه ثم الكر عليهما برأى (ثالث) يبين مدى ضحالة أو خطأ الرأيين معاً .

وعندئذ : بدت له الفلسفة أنها « مجموعة من التمارين العقلية الخالية من المعنى وكانت الفلسفة لديه بمثابة: تأمل جمالى للوعى ذاته .

وهو وإن اعتبر هذا مظهراً إيجابياً للفلسفة فإنه كان يرى أن الفلسفة إذا كانت تقوى العقل وتؤدى إلى المنطق فإنها تضعف الوجدان وتشرخ الروح .

ويصور (شتراوس) فى كتابه الذى جعل عنوانه :

[المدارات الحزينة] Tristas Trpiges .

ففى كتابه هذا يبين لنا كراهيته لتلك الأشكال الجديدة من الفلسفة التى نمت خارج (السوربون) وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه بعض أبناء

---

(١) وهما فيلسوفان يهوديان .

الجيل أمثال (جان بول سارتر)و(سيمون دى بوفوار)و(ميرلو بروتى) و (ريمون آرون) فى دراسة أعمال (هيدجر) و (هورسل) وهم من فلاسفة الوجودية .

وفى عام ١٩٣٠م إلتقى (شتراوس) بكل من (سيمون دى بوفوار) و (مارلو بروتى) و (آرون) وكان يمكن أن يكون واحداً من قادة الحركة الفلسفية التى سادت فرنسا فى عصره ، لقد حملوا جميعاً لواء الفلسفة الوجودية ، ولكنه لم يستطع أن يشاركهم لأنه — كما هو معلوم — أن الوجودية نزعة ذاتية و (شتراوس) كان يكره النزعة الذاتية ويجنح إلى الموضوعات العلمية التى يربطها (نسق) فى الكون .

من هنا: كان المدخل لفهم الفلسفة البنيوية يختلف تماماً عن المدخل فى فهم (الفلسفة الوجودية).

ولعلنا الآن نستطيع أن ندرك أن (شتراوس) لا يمكن أن يلتقى أبداً مع الفلسفة الوجودية لاختلاف منهج كل منهما .

إذ بينما هو يكره الذاتية ويراها أمراً لا ينبغى أن يكون معرضاً للفلسفة أوالعلم إذ يرى أن الموضوعات العلمية لها كيان وهو الحركة نجده يرى أن مذهب الفلسفة الوجودية إنما يسيطر عليها النزعة الوجودية ، والنزعة الوجودية دائماً فردية (ذاتية) .

وكان يمكن أن يسير الاتجاهان الفلسفيان جنباً إلى جنب، ولكن المشكلة عنده أنه رأى أن التيار الفلسفى الشائع فى عصره بعيد تماماً عن (الوعى) وأن الوجودية كفلسفة عاشت فى أوهام النزعة الذاتية واتجهت إلى ظواهر ذات مضمون مباشر تبعثر الوعى باعتباره عائقاً ضد الواقعية وترى أن ذلك ارتباطاً بعالم الفلسفة .

وهذا الاتجاه للفلسفة الوجودية إنما استفز عقل (شتراوس) لأنه

يرى أن الفيلسوف ينبغى أن يتعامل مع نشر الوعى كرموز أو تمثلات دالة على واقع إسمى .

ورغم أنه يرى ذلك فإنه يحذر الفيلسوف من أن يسقط فى أسر (الأيديولوجية) .

وهذه نقطة هامة فى فكر (شتراوس) فإنه لا يرى أن الإنسان ينظر فى الفكر نظرة مجردة غير متأثر (بالأيديولوجية) ولكنه يرى أن الإنسان لا يجب أن يتأثر بأى (أيديولوجية) وإلا فإن [الأيديولوجيات] تتنافى تماما مع (النسق) ومع التفكير السليم .

وهذه قضية خطيرة لأنها . أى: الأيديولوجية مرتبطة بالإنسان ،فكل إنسان له (أيديولوجيته) بغض النظر عما هو صحيح أو ما هو خطأ .

والأيديولوجيات هى (المعتقدات) سواء أكان معتقدا صحيحا أو فاسدا .

ولكن حينما نرى أن الإنسان فى الفلسفة البنيوية لا يجب أن يعتقد أى شىء :

فإن هذا إذن هو النوع الخطير من التفكير عند (شتراوس) ، والذى سيشيع الاضطراب والإلحاد فى فلسفته (البنيوية) .



﴿ الدعائم التى بنى عليها شتراوس فكره ﴾

لم يشأ (كاود ليفى اشتراوس) أن يقدم فكره هكذا عاريا عن منهج تطبيق بإحساس بمفهوم النظرية .

وإنما أراد أن يتجه إلى أسس أو دعائم وطيدة فى نظره تنتقل منها مسارات محددة يتجه إليها .

فاتجه إلى مجموعة من العلوم والنظريات رأى (شتراوس) أنها قريبة إلى فكره وهذه هى :

١ — الجيولوجيا .

٢ — النظرية الماركسية .

٣ — نظرية التحليل النفسى عند فرويد .

ولقد استحوذت هـــذه الثلاثة — إن صح أن نسميها علوما — على سائر اهتماماته واعتبرها أسسا لمفهوم دراساته وحاول أن يميز بها بين انطباعه الشعورى وبين واقعه الذى يكمن خلفه .

الجيولوجيا :

وإذا أردنا أن نتلمس مفهوم (الجيولوجيا) عنده فإننا نجده يعترف أن — الجيولوجيا — علم طبقات الأرض — قد علمته أن العناصر البادية على سطح الأرض التى تبدو كأنها (فوضوية) أو غير منظمة فهذا (ماء) وهذا (حجر) وهذا عال وهذا سهل إلى آخره وهذا رخو وهـذا صلب فإنها — هذه العناصر — تكتسب معنى (رمزيا) عند عالم الجيولوجيا . أى: أن كل (عنصر) يبدو لعالم الجيولوجيا . فإنما يستطيع أن يلمس منه

(خبرة) وأن يقول من خبرته فيها رأى أو أن يدله على أن هذا الشيء فيه شيء معين .

مثلا: إذا نظر الجيولوجي إلى أى شق ولو كان ضئيلا وجد فى صخره فإن هذا الشق فى الصخر لايعنى شيئا للطبيب ولا لرجل القانون ولكنه بالنسبة للجيولوجي بمثابة (رمز) تكشف له عن كثير من الرموز من تاريخ الكرة الأرضية .

أى: أن هذا الشق هو مظهر غير منظم ووراءه ظاهرة جيولوجية يظهر منها نظام أو نسق يمكن أن تكتشفه عن طريق تطبيق نسق معين من التفسير على الظاهرة الجيولوجية .

من هنا ألهمته (الجيولوجيا) بتصور مؤداه أنه :

يستطيع أن يرفض الطابع الذى تبدو عليه الأشياء من أجل تقديم حقيقة أعمق تكمن وراء هذه المظاهر .

الماركسية والتحليل :

تعرف (شتراوس) على (كارل ماركس) للمرة الأولى عند ما قرأ أعماله فى سن الثالثة عشر من عمره .

ثم تعمق إحساسه بأهميته عندما اكتشف (شتراوس) أن هناك تشابها بين موقف (الماركسية) من الواقع وموقف (الجيولوجيا) ونظرية (التحليل النفسى) [١] .

---

(١) يلاحظ أنه فى هـــذا الأمر ليس هناك تشابها بين الماركسية وبين الجيولوجيا وبين نظرية التحليل النفسى فبينما الجيولوجيا حقيقة ثابتة فالماركسية نظرية فاسدة ثم إن نظرية التحليل النفسى أشد فسادا فالمقارنة أو الشبهية هنا أمر فاسد من وجهة نظرنا ولقد أخطأ فى ذلك شتراوس بلاشك وهى بدايته التى تتفق مع نهايته الإلحادية .

كما انبهر (شتراوس) بفرويد لأنه رأى أنه يتناسب معه فى القول بوجود أساس[لاشعورى] فى الإنسان إلى جانب شعوره الواعى .

ونجد أحد الباحثين يعقب على إعجاب (شتراوس) بهذه الأفكار الثلاث فيقول :

وإذا كان كلود ليفى شتراوس قد مال إلى هذه العلوم الثلاثة فإنه يلاحظ أن تناوله لها وإعجابه بها كان مرتبطا بأبعادها المنهجية بالدرجة الأولى وعندما تناول فكرة الماركسية جردها من فكرة الصراع الطبقى وعندما تناول فكرة التحليل النفسى جردها من فكرة القمع أو الكبت أى أنه أبقى على اسم المنهجية الصورية وحدها متغافلا عن المضامين الواقعية[1] .

وبهذا نستطيع أن نقول إن (شتراوس) استطاع أن يتحامى فى مفهوم فلسفى ويخرج عن دائرة الصراع فى الواقع اليهودى . أو الواقع الغربى الذى كان يرى فى (ماركس) شيئا فلسفيا فى العصر الحديث ينبغى أن تحارب من أجله فلسفته كلها .

كما أن (نظرية التحليل النفسى) قد سقطت فى عصر الفلسفة الوجودية سقوطاً كبيراً .

هذه هى الخطوط الأولى التى وجدناها ونستطيع أن نقول إنها كونت الموقف المنهجى أو المنهج عند ليفى شتراوس فى دراسته .

---

(١) راجع ص ١٥ من ك (تيارات فى فلسفة الحضارة) د / محمد مجدى الجزيرى .

ميدان الدراسة عند ليفي شتراوس :

لا نريد أن نقف طويلا عند الأسباب التى جعلته يختار مجال دراساته التى وجه إليها كل اهتمامه ولماذا جعل ميدان هذه الدراسة [الأنثروبولوجيا] أى علم دراسة الإنسان ؟ .

الحقيقة أن (شتراوس) كان يتصور أن العلوم الأخرى لها علماؤها وقد تقدمت تقدماً سريعاً ولكن الإنسان فى تناوله العلوم الأخرى المختلفة لم يستطع أن يقفز القفزة التى يراها (شتراوس) .

ومن هنا : فإنه استطاع أن يلجأ إلى مناهج العلوم الأخرى ويحاول أن يصوغ منها منهجاً لدراسة الإنسان للنهوض به .

وخلص من ذلك أن يكون ميدانه الميدان (الأنثروبولوجى) أى : كل خصائص الإنسان .

وهذا فى الحقيقة هو ميدان (الفلسفة البنيوية) عند (شتراوس) .

ونريد أن ننبه هنا إلى أنه لم يبدأ هكذا فى دراسة الميدان الأنثربولوجى وإنما هو تحول إليها دراسة بعد دراسة كما ألمحنا .
ففى فترة دراسته فى السوربون كانت اهتماماته فى الأنثربولوجيا تكاد لا تذكر ويقال إنه حينما كان (سير جيمس فيزر) يلقى إحدى محاضراته لم يكن يهتم بها لأنها تتكلم عن (الأنثربولوجيا) .

أيضا : فى أثناء دراسته فى (السوربون) كان يطلع على كتابات علماء فى الأنثربولوجيا مثل [دوركايم) وغيره . ولكنه أيضا لم يكن يحفل بهذا النوع من الدراسات .

ولكن المؤرخين لفكر (شتراوس) يقررون أنه اتجه إلى ميدان

الأنثروبولوجيا إثر قراءته لكتاب معين . وهذا الكتاب أثر فيه تأثيراً بالغاً وحوله إلى حماس متدفق فى ميدان الأنثروبولوجيا .

فيذكرون أنه فى عام ١٩٣٣ أو فى عام ١٩٣٤ قرأ (شتراوس) للمرة الأولى كتاب [المجتمع البدائى] Primitive Society وقد ألفه عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى [روبورت لوى] Robert Lowio ولم يكن فى هذا الكتاب شيئاً لم يعهده فى دراسته الفلسفية السابقة .

ولكن شعر (شتراوس) أن هذا الكتاب يحتوى على تجربة حية عن (المجتمعات البدائية) فشعر براحة نفسية وعقلية إثر قراءته لهذا الكتاب لأنه كما كان يصف : قد انتقل بعد قراءته للكتاب من ميدان التأملات الفلسفية المعقدة إلى دنيا الهواء الطلق فأصبح شبيهاً بساكن (مدينة) الذى وجد ضالته أخيراً فى الجبال والمرتفعات .

عندما شعر (شتراوس) بهذا الإحساس قرر أن يصبح فيلسوفاً فى الأنثروبولوجيا التى ظهرت لديه أنها واحدة من العلوم الأصلية مثل الرياضة والطبيعة والكيمياء والموسيقى وغيرها .

وفى هذه الأثناء التى أحس فيها بهذا التحول نحو دراسة الأنثروبولوجيا . عرض عليه منصب أستاذ فى جامعة (سان پاولو) San Peulo بالبرازيل فتحمس لهذه الوظيفة لأنه كان يحلم برحلات فى أحراش البرازيل .

ووجد (ليفى شتراوس) أن مدرسة (دوركايم) تسيطر على الاتجاه الدراسى فى منهج الجامعة بالبرازيل (سان پاولو) ولم يسعده كفرنسى أن يسود المنهج الفرنسى أو العلم الفرنسى لكنه أعلن رفضه لمنهج (دوركايم) بل أعلن عداءه الصريح لمنهج (المدرسة الدوركامية) .

علاقته بالميتافيزيقيا :

وهنا فى الحقيقة نلتقط خيطا فى غاية الأهمية لعله يبدو لنا هاماً فى الفلسفة (البنيوية) عموماً سواء أكان عند (شتراوس)أو غيره .

وهو أن (شتراوس) فى هذه الفترة أعلن رفضه للتقاليد الميتافيزيقية والعقائد الدينية التى فسرها تفسيراً (مادياً) إلحادياً .

وهذا بجانب ماعلمناه عنه : أنه أنكر المفهوم (الأيديولوجى) .

وهذا معنى خطير ظهر فيه تناقض الفاسفة البنيوية فهى حينما ترفض المعنى الأيديولوجى ؟ بصفةعامة .

ثم ترفض المعتقدات الميتافيزيقية بصفة خاصة فإنها ممثلة فى (شتراوس) تعلن بوضوح عن أنها خاضعة للفكر الماركسى الإلحادى .

وهذا يجعلنا نقول : إننا أمام فكر إلحادى ولكنه يختلف عن منهج إلحاد (سارتر) .

لأن (سارتر) الوجودى المعاصر كان يقول (أنا وجودى ملحد) وهذا الوضوح له ميزة عند الدارسين لأنه يقدم نفسه فى جانب الإلحاد .

فأغنى (علماء العقائد) عن أن يحاولوا أن ينقبوا عن جوانب الإلحاد فى نظريته وهذه قضية غاية فى الأهمية .

أما الذى يريد أن يقدم فكراً أو منهجاً أو فلسفة أو تحليلا شاع الإلحاد بين طياته ولكنه يحاول أن يطويه طياً فإن هـــذا أخبث المؤلفين والمفكرين ، وهذا هو الذى يحتاج من علماء العقائد فى كل عصر ومصر

أن يبحثوا عنه وأن يلقوا الأضواء الكاشفة على هذا الفكر الفاسق الفاسد .

ونحن فى الحقيقة : ولست أدرى هل أنا فى حاجة إلى أن أكرر هذا فى هذا البحث أم أننى أكتفى بهـذا كما ذكرت فى (التمهيد) أن أقول : إن الفلسفة البنيوية لا تقل إلحاداً عن الفلسفة الوجودية وليس هناك وجودية ملحدة أو وجودية مؤمنة كما يقول بعض الناس إذ الوجودية كلها (ملحدة) والبنيوية أيضا فلسفة (ملحدة) لا تعنى بأى شىء وإنما تحول الإنسان إلى بنية أو نسق كآلة متحركة فى مكان (ما) يستمد قوته ووجوده من عناصر ذاته تتألف فى نسق (الكل) فليس للإنسان ثمة حاجة إلى قوة أخرى (خارجة) وهذا (إلحاد) الفلسفة البنيوية .

ولم يستطع شتراوس أن ينسجم مع الجو العام فى (سان باولو) فى البرازيل وعاش فى أحراشها وتمتع بدراسة القبائل الهندية فيها واكتشف شتراوس فى هذه القبائل وجود علاقات إنسانية أصيلة فى هذه المجتمعات البدائية الأصيلة ومن هنا ظهرت باكورة أعماله سنة ١٩٣٦ فى دراسته عن (التنظيم الاجتماعى لهنود ديور) .

وفى سنة ١٩٣٨ إستقال (ليفى شتراوس) من جامعة سان باولو . ولكنه حصل على (منحة تفرغ) من الحكومة الفرنسية لمواصلة دراسته الميدانية فى (البرازيل) التى استحوذت أحراشها وقبائلها على كل اهتماماته وقد تركت الفترة التى أمضاها فى (البرازيل) أثراً عميقاً فى وجدانه خاصة مجتمع الأحراش الذى لم تلوثه المدنية .

وفى عام ١٩٣٩ أراد العودة إلى (فرنسا) لينخرط فى الخدمة العسكرية ولكن السلطات البرازيلية منعته من السفر .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أحس (شتراوس) أن هذه الحرب هى التجسيد الحى لقوى الشر والظلام فى الحضارة الغربية فازداد تمسكه بدراسة (الأنثروبولوجيا) .

وأثناء الحرب العالمية الثانية خاف على نفسه باعتباره (يهودياً) فآثر السلامة وتمكن من الالتحاق بوظيفة فى (نيويورك) هيأها له علماء الأنثروبولوجيا أمثال (ألفريد ما تروكسى وروبورت لوى) .

وفى عام ١٩٤٩ ألف كتاباً بعنوان [الأبنية الأولية للقرابة] خصصه لنقد (دور كايم) باعتباره مشاركاً فى أخطاء النزعة الثورية التى سادت فى القرن التاسع عشر .

والملفت للنظر هنا أننا نجد (شتراوس) ينتقـــد بشدة نظرية (دور كايم) فى منع الاتصال بالمحارم .

ومن المعلوم أن (دور كايم) أجرى دراسة اجتماعية توصل فيها إلى أن الاتصال بالمحارم له أثره الاجتماعى فى ضياع المجتمع وانحلاله . وله فى ذلك دراسة موسعة .

والحقيقة أنه يجب أن تجلى هذه الدراسة وقد ألمح إليها فى كتابه (قواعد المنهج) لأن هذه الدراسة تؤكد أن الإسلام قبل (دور كايم) جاء بحقائق توصل إليها العلماء فيما بعد .

الطريف أن هذا الذى وصل إليه (دور كايم) نجد أن (شتراوس) يهاجمه دون داع أو مقتض .

إنه رأى أن تحريم الاتصال بالمحارم لا يضاد الفطرة ، ولكنه خضع لعقد اجتماعى فى نسق التبادل وكأنه يقول : إن الاتصال بالمحارم أمر مشروع إذ من حق كل إنسان عند شتراوس نقض أو إلغاء العقد الاجتماعى عندما يريد الخروج من (نسق التبادل) .

وفى عام ١٩٥٨ نجده قد أصبح أكثر ارتباطاً وتوافقاً مع

(دور كايم) ويخصه بمقال مستقل فى كتابه عن (الأنثروبولوجيا البنيوية) فيقول عنه : إنه أول من اخترع العلوم الإنسانية [الانثروبولوجيا] .

وقد أثر أحد العلماء أيضا فى (شتراوس) فى مساعدته على إنكار (الميتافيزيقيا) فعندما قرأ (ليفى شتراوس) أعماله (موس) للمرة الأولى تعرف منها على اتجاه جديد للأنثروبولوجيا وتعلم من (موس) تغير العلاقة بين الحس والعقل واكتشف (العقلانية فى اللاشعور) .

وقد أعجب (شتراوس) بعالم الأنثروبولوجيا الإنجليزى (ريد - كليف براون) الذى حاول دراسة الأنثروبولوجيا كعلم (استقرائى) يتجه كسائر العلوم الاستقرائية إلى ملاحظة الوقائع وصياغة الفروض وإخضاعها للتجربة .

والملفت للنظر أن (ريدكليف براون) قد قدم فكرة (البنية) فى ميدان الأنثروبولوجيا قبل (شتراوس) ولكنه قدمها على أنها نظام فعل الوقائع أو : النظام الفعلى للوقائع .

أو بعبارة أخرى : البنية أشبه بظاهرة من الظواهر التجريبية التى يمكن ملاحظتها بالنسبة لكل مجتمع .

وهنا كانت معارضة (شتراوس) لمثل هذا التصور لفكرة البنيوية وهنا أيضا كانت النقطة التى فيها خالف (براون) فى مفهوم البنية فإن البنية عند (شتراوس) ليست مجرد ظاهرة ناتجة عن ارتباط البشر بعضهم ببعض وإنما هى فى المحل الأول « نسق محكوم بأنساق داخلية »

وهذه الأنساق الداخلية لا يمكن ملاحظتها بالنسبة لنسق مغلق أو منعزل عن غيره وإنما يتسنى اكتشافه فقط عن طريق دراسة التحولات التى يصفها بأنها إعادة اكتشاف الخصائص المتماثلة فى أنسقة متباينة .

مقارنة :

إذا أردنا المقارنة بين (براون) و (شتراوس) فى مفهوم البنيـــة نلاحظ :

١ — أن البنية عند (براون) تشكل الأسلوب المميز الثابت الذى يكونه الأفراد والجماعات بأنفسهم والذى يوجد داخل المجتمع مما يعنى أنها (بنية) مستقلة بذاتها ولا يمكن ترجمتها إلى (بنية) أخرى .

٢ — يعارض (شتراوس) هذه النظرة إلى طبيعة (البنية) باعتبارها مجرد نسق وكل نسق محكوم بنظام (شفرى) أو مجموعة من القواعد [كود Cadw] التى متى نجح عالم (الأنثروبولوجيا) فى حل (شفرتها) نجح بالتالى فى ترجمتها إلى نسق آخر .

من هذا المنطلق إكتشف (ليفى شتراوس) الأنسقة الصوتية للأبنية اللغوية على أنها هى الحل الشامل والنموذج الكلى للعقل (اللاشعورى) الذى يعكس خلف كل ظاهرة اجتماعية معنى (الشكل) النسق .

وقد توصل (شتراوس) فى النهاية إلى قرار فى غاية الأهمية وهو :
أن (الأنثروبولوجيا) عنده هى فرع من فروع علوم اللغة .

بينما ذهب بقية علماء الأنثروبولوجيا إلى : أن اللغة فرع من فروع الأنثروبولوجيا .

الأنثروبولوجيا واللغة عند شتراوس :

إذا كان (شتراوس) لم يكن أول من فكر فى (اللغويات) كنموذج فى البحث الأنثروبولوجى ، فإنه يرى أننا متى تتبعنا خطوات اللغة فى مجال الأنثروبولوجيا لأمكن تجنب العديد من الانتقادات التى وجهت إلى مجال دراسة العلوم الإنسانية .

ينطلق شتراوس فى فهمه لهذه المشكلة وهى التفرقة بين (اللغة) و بين (الكلمة) ، اللغة بمعنى Leigous وهى المعانى التى يحكمها أنسقة معينة و كامنة فى اللاشعور . أما (الكلمة) Speike فهو الكلام المسموع الذى أخذ من منطقة (اللاشعور) وانطلق إلى منطقة (الشعور) سواء تكلم الإنسان به أو لم يتكلم ، هذه الكلمة تتحول إلى (الجملة) الواضحة فى الذهن فى منطقة الشعور .

فهو يرى أن (اللغة) يمكنها فقط أن تحقق (الأنثروبولوجيا) بدقة إذا نجح علماء الأنثروبولوجيا فى عزل موضوع (اللاشعور) الواسع الانتشار مثله فى ذلك مثل اللغة .

ومن هذا المنطلق كان (ليفى شتراوس) يعتقد أن الأبنية اللاشعورية ينبغى أن تتماثل مع أبنية اللغة حيث إنه من غير الممكن أى تصور العقل الإنسانى كما لو كان مجموعة من الحجرات المنفصلة بعضها عن بعض .

وهنا يلتقى (ليفى شتراوس) إلى حد كبير مع الموقف العام لفيلسوف الأشكال الرمزية (أرنست كاسيير) الذى أكد على أهمية الوظيفة الرمزية للإنسان وعلاقة مجالات الحضارة المختلفة بهذه الوظيفة .

ويؤكد أحد الباحثين أن (ليفى شتراوس) قد اتبع علماء اللغة فى رؤيته البنيوية فيقول :

[ولقد انبهر (ليفى شتراوس) من قول أحد علماء اللغة وهو البروفسير C . L . Brawen (س . ل . براون) حيث قال ورغم أن وجود الأشياء يسبق فكرتنا عنها إلا أنه يمكن القول بأن تصوراتنا هى التى تخلق الأشياء][1] .

---

(١) يلاحظ عند هؤلاء : علاقة الخلق بالتصور الإنسانى ، وهذا سفه عقلى لأنه يجعل كل الأشياء ذهنية .

وهذا (القول) الافتراضى عند (براون) يصبح قولا قاطعاً وملزماً لدى (شتراوس) حيث يقول :

[إن تفسير الظواهر يبدأ فقط عندما نتوصل فقط إلى تركيب الموضوع] .

ونجد تلخيصاً لمنهج علم اللغة كما يفهمه فى مقال كتبه (ليفى شتراوس) سنة ١٩٤٥ بعنوان [التحليل البنائى لعلم اللغة والأنثروبولوجيا] ، وقد نشره فى كتاب [الأنثروبولوجيا البنائية] تحت عنوان [اللغة والقرابة].

ونستطيع أن نجمل منهج (علم اللغة) على أنه يقوم على الأسس الآتية:

١ — موضوع علم اللغة هو الانتقال من دراسة الظواهر اللغوية الشعورية إلى بنائها (اللاشعورى) .

٢ — يرفض منهج علم اللغة اعتبار الألفاظ وحدات مستقلة ويجعل التحليل قاصراً على العلاقات بين هذه الألفاظ .

٣ — اللغة هى (نسق) لابد أن تمر من خلاله كل الرسائل التى يريد المتحدث أن يوصلها إلى الآخرين ، وبالتالى فإن كل الرسائل التى تمر من خلاله ينبغى أن تتبع قوانين هذا النسق .

٤ — إن هدف علم اللغة هو البحث عن هذه القوانين العامة وتعريفها حتى يصل إلى الخصائص العامة للغة بطريقة استنباطية .

وهذا المنهج جعل (ليفى شتراوس) يعتقد أن الأنثروبولوجيا إذا تآزرت مع علم اللغة فإنها يمكنها أن تشترك معه فى [علم واسع للإتصال]. ومعنى هذا التصور من (شتراوس) أنه يرى أن علم اللغة والأنثروبولوجيا لا يشتركان فقط فى (المنهج) وإنما يشتركان أيضا فى (الموضوع) .

وعموماً : فإننا نلمح مما سبق أن (شتراوس) حاول انتقاد المناهج التقليدية فى معالجة المسائل الأنثروبولوجية . ثم تقدم بفلسفته الجريئة التى تتلخص فى تطبيق منهج علم اللغة على دراسة الموضوعات الأنثروبولوجية وهو منهج مرفوض لافتقاده إلى (منهج) عقلى .

خصائص البنيوية عند ليفى شتراوس :

وسنحاول اختيار بعض العناصر التى توضح لناتفصيل منهج شتراوس فى فهمه لهذه الدراسة :

يرى أحد الباحثين أن الأنظار تتجه إلى (ليفى شتراوس) باعتبار أنه (سيد) الاتجاه البنائى فى فرنسا الآن رغم السبق الذى حققه علماء اللغة فى مضمار البنيوية إلا أن كتابه (الآفاق الحزينة) الذى ظهر سنة ١٩٥٥ يعتبر فى نظر الباحثين بداية لظهور (البنائية) على مسرح الفكر الفلسفى .

وقد حاول (شتراوس) أن يوجد الأنثروبولوجيا البنيوية من خلال الإجابة على هذا السؤال :

لماذا كانت الحياة الاجتماعية على الصورة التى عليها الآن ؟ .

وكان الجواب الذى أجابت به (الأنثروبولوجيا) البنائية أن هذه الصورة هى نتيجه ضرورية للتركيب (اللاشعورى) للإنسان .

كما أنها أيضاً تعبير عن التركيب اللاشعورى[١] .

---

(١) هذا الاضطراب الفكرى وجدناه عند (شتراوس) . ولم نستطع أن نظفر منه بتعريف لفكرة (اللاشعور) . أى على فكرة (عقلية) مترابطة وهذا هو التهافت .

وإذا كان هذا هو تقرير عام للفلسفة البنيوية عند (شتراوس) فإننا نستطيع أن نقدم (المفاهيم العامة) التى تضمنتها دراسته وهو يقدم لنا الأنثروبولوجيا البنائية .

وهذه (المفاهيم) أو الركائز التى اشتمل عليها مذهبه فى دراسته للأنثروبولوجيا إنما تتصل بالمعانى الآتية :

١ — البناء .

٢ — الأنموذج .

٣ — الطبيعة والثقافة .



(البنـــاء)

قد حاولنا أن نتعرف على هذا اللفظ من قبل . إلا أننا نحاول أن نوضح هنا فكرة سريعة عنه باعتباره (ركيزة) من ركائز الموضوعات التى تمثل منهج (شتراوس) فى دراسة الأنثروبولوجيا .

بوجه عام يمكن القول بأن : البناء هو الصفة الظاهرة باعتبارها مشتملة على نوع من النظام الاستقرارى النسبى .

وإلا لأمكن تحول البحث العلمى إلى مجرد عبث لا طائل منه .

والبناء حسب هذا المعنى يعنى مجموع العناصر المكونة بالضرورة لظاهرة معطاة حسب العلاقات الضرورية بين هذه العناصر .

مثال : المجتمع السياسى مثلا لا يفهم إلا بأرض معينة وشعب وجماعات مختلفة وسلطة وثقافة . إلى آخر هذه الأمور اللازمة لكل مجتمع سياسى . وكل عنصر من هذه العناصر له أيضاً أرضه الخاصة به والسلطة لها علاقات بالأرض والشعب وبالجماعات وكلها بدورها لها علاقات بالسلطة .

وهكذا نرى أن (عناصر البناء) هى الواقع الملموس فى كل مرة بطريقة تكاد تشير إلى أنهـــا دوائر متصلة بعضها ببعض منها ماهو متطابق ومنها ماهو متداخل . وكل هذا فى (اتصال) نسق . .

ونحن حينما نتأمل فى دراسة الفكر البنيوى أو الفلسفة البنيوية عند (شتراوس) فإننا نجد أنه يفرق تفرقة هامة بين النسق والبناء من ناحية التساوى . فإذا فحصنا مجتمعاً سياسياً معيناً فإن هذه العناصر البدائية تظهر فى تنظيم معين هو الذى نطلق عليه لفظ (نسق) .

ففكرة (النسق) ليست مساوية إذن لفكرة (البناء) إذ هى تعنى فقط طريقة التنظيم .

وحسب هذا السياق نجد أن ثبات واستمرار البناء إنما هو (نسبى) . بمعنى : أن العناصر التى تكونت والعلاقات المتبادلة بينها ليست ثابتة .

وإنما هى تحت تأثير عوامل عديدة داخلية وخارجية نجد أنها فى حركة دائرة. فالأرض مثلا ثابتة (فيزيقياً) ومتغيرة (إنسانياً) لهذا كانت دراسة (البناء) حسب هذا المفهوم دراسة (ديناميكية) دائمة .

نقد صريح :

وهنا يحق لنا أن نقف وقفة سريعة فى نقد الفلسفة البنيوية لأنه فى صلبها يقرر: أن الثبات والاستمرار بالبنيوية ليس إلا أمراً (نسبياً) .

ومعلوم أن القضية (النسبية) لاعلاقة لها بقضية الحق أو الصواب وإنما هى قضية ذاتية .

بينما هو قبل ذلك قال : « أنا أرفض أن تكون البنيوية ذاتية » .

وهنا تناقض عند (شتراوى) حينما يقول هنا بالنسبية أوهو أمر نسبى مع ماسبق وأن قاله من أنه يرفض الفلسفة الوجودية لوجود « الذاتية» .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الفلسفة البنيوية باتباعها مفهوم (النسبية) إنما تقدم فى أحشائها مايلغيها أو ماينا قض العقل الإنسانى العام .

وقد سبق أن قلنا إننا سنجد فى الفلسفة البنيوية كاتجاه معاصر مافى الفلسفات المعاصرة التى تحاول سحب الإنسان إلى الجانب المادى فقط من أخطاء وتناقض واضطراب .

فليست البنيوية ذلك الكل الذى يقبله العقل بلا استفسار .

ويحدثنا شتراوس بمنهج الغموض الذى يسيطر على (البنيوية) عن البناء اللاشعورى المسبق لكل عادة أو تنظيم لكى نحصل على مبدأ فى التفسير صالح لتنظيمات أخرى بشرط المضى فى التحليل إلى درجة بعيدة .

ففى كتابه (الآفاق الحزينة) يقول عن هذا النشاط اللاشعورى :

إن هذا النشاط اللاشعورى ليس نشاطاً فكرياً ولكنه (نسق) من التصورات يوجد بين البناءات (التحتية) والبناءات (الفوقية) .

ثم يقول فى كتابه [تفكير الفطرة] :

[إن التصورات هى التى تجعل المادة والصورة وهما مجردتان عن أى وجود مستقل تتكاملان فى شكل بناءات أى : موجودات محسوسة ومعقولة فى نفس الوقت] .

كيفية تكون البنيوية ..؟

وهنا نأتى إلى سؤال : كيف تتكون البنيوية ؟ .

إذ وجود البنيوية ليس (صورياً) كأن تكون نموذجاً عند أحد النظريين حسبما يرتئيه .

وذلك لأن له وجوداً خارجياً .

كما أنه من الثابت أنه مصدر العلاقات المرئية .

والبنيوية ليست ماهية مغرقة فى التجربة بل هى صادرة عن العقل أو عن النفس الإنسانية وهويتها غير متغيرة .

وهنا نسأل : كيف توجد البنية أوالبنيوية أو البناء ؟ .

إن البناء ليس له مضمون أومحتوى متميز بل إنه هو نفس المضمون الذى نلمسه كتنظيم منطقى يعتبر من أساسيات الواقع .

ويقول فى ذلك(شتراوس) :

إذا كان من الضرورى تنظيم المحتويات فى الصور . فإنه من الضرورى أن نعرف أنه لا توجد صوراً أو محتويات بمعنى (مطلق) كما هو الحال فى الرياضة .

ولكن كيف يمكن بعد ذلك من أن نتعرف على أى صور أو أن نصل إلى بنائها الناطق بوصفه التجريدى حتى نستخرج هذه البناءات من الصور .

مثال الطيف :

وقد أورد (لوكى) أحد فلاسفة البنيوية مساهمة منه فى شرح مفهوم البناء ومضمونه عند (ليفى شتراوس) باعتبارهما شيئاً واحداً أى [البناء والمضمون] مثالا مأخوذاً من [ألوان الطيف] . يظهر منه أن بناء طبيعة العلاقات الموجودة بين ألوان الطيف هو نفس البناء المنطقى للعلاقات الموجودة فى مدلولاتها الثقافية .

فإذا كان طيف الشمس الممتد من البنفسجى إلى الأحمر مروراً بالأزرق والأصفر والأخضر يمثل كلا متصلا .

فإن المخ الإنسانى يميز هذا الكل إلى أجزاء لدرجة أننا ندرك الأزرق وحده والأخضر وحده والأحمر كما لو كانت ألواناً مختلفة أصلا .

وإذا كان هناك إتصال طبيعى بين هذه الألوان فهو لأن كلا منها

يعتبر ضد الآخر فالأخضر ضد الأحمر كما هو ضد الأبيض والأسود والأزرق والأصفر .

وإذا كان الأحمر هو (رمز الخطر) فى جميع الثقافات فلأنه يرتبط طبيعياً بلون (الدم)فسائق السيارة يعلم أن الأحمر معناه (قف) كما أن الأخضر معناه (تقدم) وإذا أردنا علامة (بين بين) فإننا نختار له لون (الأصفر) وذلك لأن لون الأصفر يقع فى الطيف الشمسى فى منتصف الطريق بين الأخضر والأحمر .

وفى هذا المثال نجد أن تركيب الألوان أخضر — أصفر — أحمر . هو نفس ترتيب علامات (تقدم — إستعد — قف) .

إن نسق الألوان ونسق العلامات لهما نفس البناء الواحد ويصدر عن تحول آخر .

ولكن كيف نصل إلى هذا التحول ؟ .

الجواب : يتم ذلك التحول حسب الخطوات التالية :

(ا) الطيف الشمسى يوجد فى الطبيعة فى صورة متصلة .

(ب) المخ الإنسانى يرى هذا الاتصال فى صورة أجزاء منفصلة .

(ج) المخ الإنسانى يبحث بطبيعته عن تقابل ثنائى فيختار الازدواج أخضر — أحمر .

(د) عندما يتوصل المخ الإنسانى إلى هـذا التقابل المتمركز بين ضدين فإنه لا يرتاح إلى صفة عدم الاتصال بينهما . ولذلك يبحث عن مركز وسط [ليس + / ليس —] = اللون الأصفر .

(ه) يرجع إذا إلى الاتصال الطبيعى الأصلى ويختار الأصفر كعلامة وسطى .

(و) النتاج الثقافى النهائى وهو العلامات الضوئية الثلاث هى بمثابة تقليد مبسط لظاهرة الطيف الشمسى كظاهرة طبيعية .

وهنا نكتشف كيف أن علاقات معينة توجد فى الطبيعة يمكن أن ينتج عنها نتاج ثقافى يشمل نفس هذه العلاقات .

كما يتبين لنا من هذا المثال أن البناء الطبيعى للعلاقات الموجودة بين ألوان الطيف هى نفس البناء المنطقى للعلاقات الموجودة بين مدلولاتها الثقافية كما يتضح لنا من مثلث [هيجل] [1] .

وهذا المثال رغم أنه لم يظهر فى كتابات (ليفى شتراوس) إلا أنه يتفق مع ما ورد فى كتابه [الإنسان العارى] .

ويلاحظ أن هذا المثال البنائى إنما هو وصف معروف من أنواع [الدلالة والمدلول] الذى حاول أن ينكرها من قبل (شتراوس) .

علاقة البناء بالدين عند شتراوس :

فى نهاية كتابه [الأنثروبولوجيا البنائية] نجد أن (ليفى شتراوس) يتعرض لمسألة البناءات من نوع نمط المعاش والبناءات من النمط ذات النوع التصورى .

أى : أن البناء ينقسم عنده إلى بناء (معاشى) وبناء (تصورى) . مساق فى هيئة (أنماط) نسقية .

أما البناء المعاشى فهو يعرفه بأنه [الاتصال بالواقع الموضوعى] ويمكن التعرض لها من الخارج .

(١) مثلث (هيجل) معروف . وهو مثلث هندسى متساوى الأضلاع وكل (زاوية) ترمز للعلامات الثلاث (قف/إستعد /تقدم) .

أما البناء التصورى فهو يعيننا على فهم بناءات النوع العاشى فإنها تكشف لنا الطريقة التى يحاول بها المجتمع أن يضمن الانسجام بين بناءاته فى (كلّ) منظم .

والخطير هنا : أن (شتراوس) يرى أن البناءات من النمط التصورى لا تتصل مباشرة بأى واقع موضوعى .

أى : أنها تنفصل عن (الموضوع) فهى بذلك : ذهنية فقط عند (البنيوية) .

وهذا يصادم كل الأديان كما أنها لا تخضع فى تقييمها — كما يقول — لأى (تجربة). وإنما يكون هذا (التقييم) بالاستعانة ببناءات النمط المعاشى .

أى : أن الواقع هو الذى يخضع هذا النوع — التصورى — أى أنه (ذهنى) متبع كأنه إلغاء أو كأنه إنعكاس .

ثم يلمس النقطة الخطيرة هنا فيقول [إن البناءات من النمط التصورى تتصل بمجال الأسطورة والديانة] .

وهنا نستطيع أن نلتقط خيطاً غايظاً من خيوط الفلسفة البنيوية الإلحادية وهو يوضح بجلاء علاقة (شتراوس) وفلسفته البنيوية بالإلحاد .

لأنه هنا بمنتهى البساطة أنكر هـذا النوع من البناء التصورى وقال إنه أثر من آثار ذاتية البناء الواقعى .

ثم قال : إنه لا يصلح لشىء ولا يحكم به على شىء وأنه إذا وجد فى الذهن فإن منهجه (الأسطورة والعقائد الدينية) .

وبذلك ساوى (شتراوس) بين الأسطورة وهى (خرافة) وبين

(العقائد الدينية) فى دائرة واحدة ليس لها وجود وإنما هى أثر من آثار التصور الذهنى فقط .

ومن هذا يتضح أن (شتراوس) وفلسفته البنيوية إنما تقول بالإلحاد وتنفصل تماما عن كل (عقيدة) .

ولعلنا بذلك: ندرك خطرها على العقائد. وضرورة نقدها . ومحاربتها بمعيار العقل والإسلام وتنبيه أبناء الإسلام إلى خطرها .



﴿ الأنموذج ﴾

إذا انتقلنا من الدعامة الأولى وهي (البناء) إلى الدعامة الثانية وهي : (الأنموذج)،

فإننا نجد أن (الأنموذج) يقتضي ضرورة معينة تنحصر فى تدخل العقل الإنسانى الذى يجرد لكى يفهم . وهذا التجريد فى العلوم الوضعية معناه أن يهمل الإنسان بعض جوانب الواقع فى محاولة للتبسيط بغرض (المعرفة) .

إذ الواقع المبسط على هذا النحو هو الذى يحمل إسم(أنموذج)وهو الذى يعتبر (أداة المعرفة) .

ويرى (شتراوس) فى العلاقة بين تجريد (النماذج) وتركيبها أن الجانب النظرى البحت أو الرياضى أو الفيزيائى هو فيها بمثابة علم النحو فى (اللغة) .

وإذا كان هذا الجانب النظرى يكون محك الحقيقة فيه هو (الإنسان المنطق)فإن هذا التجريد يقتضى أن نعمل على نماذج ملموسة .

والتجريد فى هذه الحالة يؤدى إلى تركيب النماذج .

ويرى (شتراوس) أن هذا [أنموذج] مركب بواسطه النفس وهو (أنموذج) بنائى أى : أنها منطقية يركبها الباحث ابتداء من الوقائع الملاحظة والتى تتولد عنها البناءات .

ويؤكد شتراوس هنا أن الأبحاث البنائية — الفلسفة البنيوية — تفقد قيمتها إن لم تكن البناءات يمكن ترجمتها إلى (نماذج) .

ويعقب أحد الباحثين على ذلك فيقول :

[ونلاحظ هنا أننا أمام علاقة جدلية بين (الأنموذج)(والبناء) فهما يتكاملان فى حركة (بنائية) دائبة صاعدة وهابطة .

فهى صاعدة من التجربة إلى النموذج ثم إلى البناءات كما يفهم من هذا النص ، وهى هابطة من البناءات إلى النماذج المنغمسة فى الواقع التجريبى .

ونلاحظ هنا ظهور الالتقاء الإثنوجرافى[1] . وهو تصور عام نجده دائماً فى كتابات (ليفى شتراوس) وفى تفسيره للظواهر الأتنولوجية[2] .

يلاحظ عنده : وجود اتصال دائم بين عناصر المنهج وعناصر الموضوع . ويقرر : بأن المنهج هو الموضوع .

وعليه : فإن الأنموذج عند الفلسفة البنيوية هو خطة رائدة فى البحث عن البناءات واكتشافها كما أنه فى نفس الوقت خطة لصياغة البناءات فى ألفاظ علمية .

والأنموذج البنائى تنظمه علاقات تكون (إتساق التضاد) وهو بهذا الاتساق يقترب من نماذج الرياضيات الحديثة .

كما أن المنطق العلمى للنماذج عليه أن يفسر (المنطق اللاشعورى) بالبناء .

ويلاحظ هنا أن المنطق العلمى والمنطق اللاشعورى عند (اشتراوس) يخضعان لنفس القوانين الماركسية والتحليل الفرويدى .

وبذلك يظهر لنا أن (الأنموذج) إجرائى دائماً ولا يجب أن يخلط الأنموذج فى الواقع التجريبى . والنموذج يقوم دائماً إلى جانب النفس غير أنه مؤقت دائماً وغير منتهى أبداً .

---

(١) الإثنوجرافيا : علم وصف الشعوب . وتهتم بدراسة المظاهر المادية للنشاط الإنسانى من عادات وتقاليد مثل : المأكل والمشرب والملابس .

(٢) الإتنولوجيا هى : علم دراسة خصائص الأجناس . حتى نتمكن من تصنيفها والتفرقة بينها .

نقد : يلاحظ هنا التردد عند (اشتراوس) فى تقرير فكرة الأنموذج هنا والخلط بين كونه (وجود مؤقت) دائماً وبين كونه (غير منتهى) أبداً .

وهى كلها عبارات (متناقضة) وهذا الاضطراب دائما يلاحظ فى (الفلسفة البنيوية) .

ورغم طبيعة هذا الأنموذج فإن (اشتراوس) يفترض تجريد الأنموذج من الواقع لغرض مسبق فى البحث الذى يصرح به العالم الذى يفترض فرضاً ويبحث عن سبب ليؤكد بأنه ارتقاء (نسق) بمنهج البنيوية .

وعلى كل: فإن طبيعة الأنموذج أنه لا يستطيع أن يستوعب الواقع كله لأنه يمكن أن تتمخض عن هذا الواقع (نماذج) متعددة .



﴿الطبيعة والثقافة﴾

إن الطبيعة والثقافة كانتا بمثابة الأرض المفضلة لأفكار وفلسفات (اشتراوس) المتناقضة وهى (الدعامة الثالثة) لفكره الفلسفى .

ورغم حرصة على تجنب أى تأمل (ميتافيزيقى) إلا أنه (يداعب) الميتافيزيقيا من حين لآخر وقد كان موضوع الطبيعة والثقافة خير مثال لذلك [1] . وهذا يوضح مدى (اضطراب) المنهج عند (اشتراوس) .

أما فى البناءات الأولية مثل (القرابة) فقد اقتصر مفهوم الطبيعة عند (ليفى اشتراوس) على أنها تعبر عن العمومية والتلقائية .

أما (الثقافة) فقد كان تصوره لها على أنها معبرة عن (النسبية) وعن (التنظيم) .

فكل ماهو عام وتلقائى ينتسب إلى الطبيعة ، وكل مايتصل بالنسبية ويحتاج إلى قواعد منظمة ينتسب إلى الثقافة .

وفى المحاضرة الافتتاحية فى (كلودى فرانس) التى ألقاها سنة ١٩٦٠ صرح (شتراوس) بأن الثقافة هى ضرب من (الأسرار) وسيأتى اليوم الذى يمكن فيه أن تدرس الظواهر والسر الثقافى على المستوى الجيولوجى . كوظيفة من وظائف المخ وعندئذ تظهر الثقافة كنتاج للطبيعة .

---

(١) لم يقترب أبداً (شتراوس) من الميتافيزيقيا بمعناه المألوف . سواء كان عقائدياً أو فلسفياً ، وإنما اقترض كلمات ميتافيزيقية مثل : النفس وعلاجها وفسرها تفسيراً غير (ميتافيزيقى) .

ولكن كيف يمكن الانتقال من حال الطبيعة إلى حال الثقافة ؟!!

يجيب (شتراوس) على هذا السؤال بقوله :

[إن الانتقال يعرف بما للإنسان من قدرة على النظر كالعلاقات البيولوجية فى صورة أنساق تقابل الرجال الممتلكون والنساء الممتلكات .

وعلى هذا يمكن القول بأن أصل الثقافة يكون فى المبادلة الجنسية[١]. أى فى هذه الظاهرة الإنسانية البحتة التى تتلخص فى أن رجلا يصنع لنفسه رابطة القرابة مع رجل آخر وذلك عن طريق التبادل][٢] .

* علاقة الطبيعة بالثقافة :

وقد كان هدف (شتراوس) هو أن يكتشف كيف أن علاقات معينة توجد فى الطبيعة حسبما يدركها المخ الإنسانى ويمكن أن يتولد عنها نتاج ثقافى يشمل نفس هذه العلاقة .

ويحاول (شتراوس) أن يؤكد بأن تفسير العلاقة بين الطبيعة والثقافة. إنما يكون بالتمايز — أى بتمايز العلاقة بظواهر أخرى داخل نسقها — وهذا هو نفس منهج (علم اللغة البنائى) .

وإذا كان ازدواج الترابط عند (شتراوس) بين الطبيعة والثقافة من أهم المحاور الأساسية فى الفكر البنائى .

فإننا نجده يستخدمه فى تفسير الظواهر الأنثربولوجية كما يتخذه موضوعاً للتأمل المحض .

---

(١) يلاحظ تأثره بنظرية التحليل النفسى عند (فرويد) .

(٢) راجع ص ٥٤ من ك (البنيوية فى الأنثربولوجيا) - د/ عبد الوهاب جعفر .

فنجده يستند إلى فكرة الثقافة فى موضوع يتصل بالمجال التقليدى للكشف الفلسفى وهو [علم الجمال] .

فعندما سئل (شتراوس) عن دور الفنان أجاب بقوله [هو الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة — لأن الموضوع الذى يعالجه هو جزء من الطبيعة والفنان يأخذ به إلى مفهوم جديد يمكن أن يتداول وهذا يعنى أنه خرج إلى اللغة أو إلى الثقافة] .

إن الخصائص الأساسية التى يكشف عنها الفنان فى الموضوع هى نفسها خصائص النفس البشرية أى: أن العمل الفنى يكون ناجحاً عندما يعبر عن (البناءات) المشتركة فى النفس والموضوع .

كما أن التذوق الفنى هو المظهر الحسى للبناء . فيرى (شتراوس) أن الفنان والبنائية يقومان بتنفيذ برنامج متماثل .

فكلاهما لا يسمح (الحدث) إبتداءاً من بناءات النظرية وكلاهما يستهدف التوصل إلى معنى ينشأ بالضرورة والتماء البناءات النفسية ببناءات الأحداث فى الطبيعة أو فى المؤسسات النسقية .

الاتصالات الداخلية :

يرى (ليفى شتراوس) أنه إذا وجـــد تماثل فى الأداء الفنى رغم اختلاف الثقافات والقارات والزمان فإن هذا التماثل يمكن تفسيره بما يطلق عليه [إتصالات داخلية] وهى التى تفسر الاستمرار والثبات لأنها تشير إلى (لاشعور) مؤكد يظهر فى العمل الفنى .

وهنا نجد أنه ذهب إلى : أن مايترجمه الفنان يكشف عنه الأنثروبولوجى عن طريق العلم .

ولهذا فإن الأداء الفنى هو تعبير عن كل مركب من علاقات داخلية لذلك فإن العمل الفنى يمد الذكاء والإحساس بما يمكن أن توصف بأنها جمالية] [1] .

مثال للعلاقة بين الطبيعة والثقافة :

ألف (شتراوس) كتاباً وضح فيه رؤيته لنظم القرابة وكيف تعيش المواجهة بين الطبيعة والثقافة .

الطبيعة التى تتطلب التقاء الجنسين وبين الثقافة التى تتدخل لكى تنظم هذا الالتقاء .

ووضع فى هذا الكتاب قاعدة وجد أنها تشير إلى مذهبه فى العلاقة بين الطبيعة والثقافة . هذه القاعدة هى (منع الاتصال بالمحارم) .

وقد حاول (شتراوس) أن يثبت منهجه على حل هذه المسألة الذى ادعى أن العلماء يعانون فى حلها يقول : [إن منع الاتصال بالمحارم لايمكن أن يفسر فى نظام التقابل بين نظام الطبيعة والثقافة . فإن التفسير الطبيعى الذى يتحدث عن مفهوم غريزى . الذى يقول به العلماء .

يقول (شتراوس) إن هذا التفسير الطبيعى من الممكن أن يكون مقنعاً عند إدخال فكرة (البناء) .

كما أنه يكشف عن النفس بدرجات لا ينطبق عليها الوصف فى مجتمعات أخرى .

---

(١) راجع ص ١٤١ وما بعدها بتصرف من ك [البنيوية فى الأنثروبولوجيا] .

أما التفكير الثقافى بمنع الاتصال بالمحارم فإنه ليس أكثر إقناعاً وليس يمكن أن يكون أساساً لذلك .

وندهش حينما يلجأ (شتراوس) إلى تقرير ما يتصور أنها قاعدة فيقول : إن منع الاتصال بالمحارم ليس طبيعياً كما أنه ليس ثقافياً وإنما هو فى مفترق الطرق بين الإثنين .

ووظيفته فى المجتمع هى ضمان توزيع النساء لضمان استمرارية الجماعة، إن منع الاتصال بالمحارم إذن لم يوجد إلا لكى يضمن ويؤسس نوعاً من التبادل مباشرة بطريق غير مباشر عاجلا أم آجلا][1] .

والذى يعنينا هنا هو محاولة (شتراوس) الربط بين قضية القرابة وقضية الفلسفة البنيوية فيقول :

[إن علم اللغة باعتبار أنه قريب للأنثروبولوجيا فإنه يكون معها علماً واسع الاتصال] .

ويقول [إن نسق القرابة يستند إلى ألفاظ أربعة : هى : « أخ — أخت — أب — إبن » وهذه الألفاظ ترتبط فيما بينها بازدواج وتقابل مثل : « أخ — أخت » ، « أب — إبن » .

ومن هنا: فإن نسق القرابة عند (شتراوس) لا ينفصل عن اللغة بل هو (لغة) إنه لا يرده إلى روابط موضوعية للأفراد وإنما فيه أنساق للأفراد فقط .

وقضية (القرابة) تلك يظهر منها مدى : (إلحاد) البنيوية . ومحاولة هدمها للأصول التى تحدثت عنها كل الأديان السماوية .

---

(١) راجع التفصيل ص ٥٨ من ك [البنيوية فى الأنثروبولوجيا] .

نقـــد :

ونستطيع هنا أن نرى (الفلسفة البنيوية) وهى تتخبط فى تصورها للأمور الوجودية على أنها (ذهنية) وتصور هذه الأمور الذهنية على أنها (وجودية) .

وهذا يؤكد أن الاضطراب فى الفلسفة البنيوية إنما هو فى عمودها الفقرى. وأنها حينما قالت : إنها جاءت لتقضى على الفلسفة الوجودية التى جعلت الإنسان (يقبع فى ذاته) فإنها جاءت وقد أخذت الكثير من الفلسفة الوجودية رغم الملاحاة التى كانت بين (شتراوس) و (سارتر) فى عصرهما .

وقد أحس (شتراوس) نفسه أنه مضطرب فى قضية القرابة وفكرة الاتصال بالمحارم فذكر أنه : يدرك بأن اكتشافاته تمثل الصفات الأولى لعملية الشعور والتفكير الإنسانى وأنه ليس مصراً على التسليم بصحة ما أقرته هذه الفلسفة البنيوية عنده لأنها وهو يسعى إلى فلسفته يمكن أن تقود إلى نوع من الدكاتيكية (الدقماتيطية) الإقناعية .

وينقل أحد الباحثين نصاً ذكره (شتراوس) لنفسه فيقول : [لقد شعر (شتراوس) بقصور معين فى منهجه ويذهب إلى ذلك فى قوله : (إنى لا أدعى الوصول إلى تفسير شامل كما أنى مستعد للاعتراف بأنه يوجد فى مجموع نشاطات الإنسان مستويات قابلة لأن نضيف عليها (نظرية البناءات) وأخرى غير قابلة لذلك ولقد اخترت فئات من الظواهر وأنماط المجتمعات التى يمكن أن يطبق عليها منهجه فى ذلك، وإذا كان كتابى [البناءات الأولية فى القرابة] يؤدى إلى فهم أحسن أو إلى فهم أفضل لهذه الأساطير فإنى سعيد لما توصلت إليه ولا أحبذ أن يترتب عليه حتما بالتسليم بنتائج معينة عن طبيعة النفس والإنسانية [1]) .

---

(١) راجع ص ٩٠ من ك [البنيوية فى الأنثروبولوجيا] .

﴿ العلاقة بين العلم والفلسفة ﴾
عند
ليفى شتراوس

ألمعنا قبلا أن (شتراوس) يصر على أنه يجب أن يفهم على أنه عالم من علماء (الأنثروبولوجيا) بالذات وأنه يرفض الانتماء إلى الفلاسفة .

وكان (جان بول سارتر) قد وصف (شتراوس) بأنه (حسى) ، وهو وصف يطلقه (سارتر) على كل من يزعم بأنه يدرس البشر على أنهم مثل (النمل) .

ويرد (شتراوس) على اتهام سارتر بقوله :

[إن هذا الاتجاه الذى ينتقده (سارتر) هو نفس اتجاه رجل العلم الذى يؤمن بعدم جدوى الميتافيزيقيا] [1] .

يقول (شتراوس) فى كتابه (الإنسان العارى) [إنى أرفض مقدما أى تفسير لموقفى — يأتى من قبل الفلاسفة وذلك لأنه ليس لدى فلسفة تستوجب من المرء أن يتوقف عندها اللهم إلا بعض المعتقدات البسيطة التى ساقنى إليها بقايا متراكمة مما سبق أن درست ودرست فى هذا المجال ، على الرغم من محاولة تسمية أبحاثى بمسميات فلسفية فإنى أفتخر بالقول بأنها على أحسن الفروض لا يمكن أن تساهم إلا فى التخلى عما تسمونه اليوم فلسفة] [2] .

ولكن : هل تخلص من الفلسفة فعلا ؟ .

---

(١) يلاحظ هنا أنه ينكر الميتافيزيقيا ويسخر من جدواها .
(٢) راجع ص ٧٤ من المرجع السابق .

وينبغى أن نعلم أنه مهما كان من أمر استقلال الأنثروبولوجيا عن الفلسفة رغم ثرائها بالمواقف الفلسفية كما عرضها (شتراوس) فإن أحداً لا ينكر أن العلم والأيديولوجيا يساند كل منها الآخر .

فإنه إذا كان العلم يخلق المعرفة تباعاً فإن الجانب الحقيقى هنا يعنى أن العلم يؤدى إلى المعرفة فى نطاق (أيديولوجى) معين .

ويؤيد أحد الباحثين [بيير كاسان] فى ذهابه إلى أن (شتراوس) يميل إلى التأرجح بين العلم والفلسفة وذلك :

فى أحاديثه وندواته فإنه يحوم حول الفلسفة بينما يقبل أن ترد أبحاثه إلى مجرد تأملات عن الإنسان وعن النفس .

فيقول عن كتاباته (حيث تظهر اهتمامات (شتراوس) الفلسفية ومقولاته توجد الفلسفة).

ولقد اتفق (الباحثون) على أن التأثيرات (التأملية) شاعت فى مؤلفاته وأيضا المذاهب الفلسفية بوجه عام .

لقد كانت هذه المسائل لا تلفت نظر علماء الأنثروبولوجيا من قبل ،

وعليه: إننا إذا أخذنا فى الاعتبار أن الأيديولوجيا والعلم يعتمد كل منهما على الآخر .

فإننا نزعم أن الأنثروبولوجيا البنائية أى الفلسفة البنيوية ليست (علماً) وإنها تعطى أبحاثاً تحاول أن تصبح قضايا .

بهذا يمكن أن نفهم (الموقف المتوتر) مع الفلسفة فى كتابات (ليفى شتراوس) .

---

(١) راجع ص ٩٨ من المرجع السابق .

ويرى أحد النقاد أن (شتراوس) دخل الفلسفة ولم يخرج منها رغم محاولاته تلك .

وقـــد كتب (دومنيك) سنة ١٩٦٧ يقول : [إذا صح أن (شتراوس) قد حرص على أن يكون رئيساً لمدرسة فكرية فلابد من التسليم بأنه قدم فلسفة أو قل أنه قدم (اللافلسفة) التى ترتكز عليها جميع البناءات] .

ولقد أثارت هذه العبارة ردود فعل شتى ولا شك أن صاحب الفلسفة البنيوية نفسه لم يكن راضياً عنها .

وبعد ظهور كتاب (الإنسان العارى) سنة ١٩٧١ كتب نفس الناقد [دومينك] مثالا آخر بمجلة [إستربت] قال فيه :

[أرى أن البعض قد اتهمنى بسوء النية عندما أطلقت على البنائية أنها فلسفة ، فهاهو صاحب البنيوية يتقدم صراحة نحو أرض الفلسفة فى خاتمة كتابه الإنسان العارى] .

ولقد كان كتاب (الإنسان العارى) هو آخر ما ظهر من المجموعة الميثيولوجية التى بدأها (ليفى شتراوس) سنة ١٩٦٤ والتى تضمنت أربع مجلدات كما كانت خاتمة (الإنسان العارى) هى بمثابة خاتمة لجميع مؤلفاته على حد تعبيره .

ولقد حاول فيها أن يلقى نظرة عامة على أبحاثه التى تمخضت عن بعض الاعتقادات الفلسفية .

إستمرار العداء للعقائد :

وفى هذه الخاتمة يقرر (شتراوس) إلحاده فيقول: — [إنه لا ينبغى علينا أن نتوقع مبادرة (ميتافيزيقية) لإرضائنا أو مبادرة لنجـــدة الأيديولوجيات التى تحتضر] .

وهذه الجملة تمثل موقفاً له من العقائد الدينية ، وتفصح عن الجوانب الإلحادية فى الفلسفة البنيوية كما أبداها (ليفى شتراوس) .

موقف شتراوس من الشعور :

وإذا كنا علمنا أنه يحاول أن يقدم نفسه على أنه (عالم) وأنه حريص على أن يشيع الروح العلمية فإنه فى سبيل هذا المقام حرص على إقصاء فكرة (الشعور) الذى هو عنده يمثل (عنصر الذاتية) فى البحث .

وإذا كان من الأمر الطبيعى أن يتدخل (الشعور) فى عملية البحث وألا يكون قد حكم فى كثير من الفروض العلمية فى مفاهيم مسبقة .

فإن (شتراوس) لم يكن يتناول الشعور بهذا المعنى وهو العزل المؤقت عن الفرض العلمى حتى يستقل العقل بالأحكام .

بل كان (شتراوس) يصر على أن الشعور هو (العدو السرى) لعلوم الإنسان .

ويقول : [لقد نجحت الفلسفة مدة طويلة فى أن تجعل علوم الإنسان سجينة فى دائرة لا ترى فى داخلها سوى الشعور وهو يتأمل ذاته][1].

لقد كان أهم ما يميز هذا (الشعور) أنه يخضع ذاته لذاته فإن ما أنجزته الفلسفة البنيوية بعد (رسو) و(ماركس) و(دوركايم) و(سوسيه)هو أنها كشفت أمام الشعور موضوعاً آخر . أى : وضعته أمام ظواهر إنسانية .

وهى فى ذلك تماثل العلوم الفيزيائية والطبيعية فيما أثبتته من أنها الوحيدة التى تسمح بممارسة المعرفة .

---

(١) لا شك أن ذلك لا ينطبق على كثير من التراث العقلى أو الإنسانى وإنما قد يكون هذا لديه مما رآه فى الفلسفة الوجودية التى تعاصره .

ولقد كان (شتراوس) يسخر من عنصر « الذاتية » فى البحث وكان يصفه بأنه (كنز فقير) .

وقد نقد (دومنياك) الفيلسوف(شتراوس) فى هذا حينما سأله فقال : ألا تتضمن هذه السخرية إصدار حكم عن حالة الإنسان ؟!! .

وبالطبع فإن (دومنياك) يقصد بهذا التساؤل أن هذه السخرية يتضح فيها الذاتية الخاصة (بشتراوس) وهو ينكر (الذاتية) بينما هنا يستعمل (الذاتية).

وهذا التناقض هو ما يقصد (دوميناك) تسجيله فى نقده .

ويستطرد [دوميناك] ناقداً :

ثم ألا يعنى تحريك كل هذه الأفكار بأسلوب شاعرى مبتعداً عن أسلوب العالم المفرق فى الذاتية أم أن المتحدث هو هذا (الكنز الفقير) .

الأنا ونحن :

تعرض « شتراوس » إلى نقد شديد خاصة من (دومنياك) و(بانوف) وغيرهما لأنهم لاحظوا أن المعنى فى اتجاه الذاتية الذى يراه « شتراوس » إنما هو خروج على مبدأ الفلسفة البنيوية .

وهنا نتعرض لقضية هامة وهى العلاقة بين [الأنا] و[نحن] .

وعندما نتساءل عن العلاقة بين [الأنا] و [نحن] فى داخل شتراوس ؟ .

فإننا نجد أن كلمة [نحن] التى حرص (شتراوس) دائماً على استعمالها لم تكن تترجم الرغبة العميقة إلا فى أن تنتظم [الأنا] فى [نحن] .

أى : أنه كان يستخدم « أنا » مكان [نحن] و[نحن] مكان [أنا] فلم يكن حينما يقول [نحن] يعظم نفسه أو حينما يتحدث عن [أنا] يكون متواضعاً .

إنما هو يرى أنه لاوجود لمفهوم [الأنا] . أو بمعنى أدق: كان لا يرى (الأنا) . لأنه كان ينكر الذاتية . وكان شديداً فى هذا الإنكار رغم أنه يرى أن إعمال الشعور يظل ممكناً على مستوى الفكر .

وكأنه يتفق مع (الوجودية) دون أن يدرى عندما يقول: إن الشعور يظل ممكناً على مستوى الفكر وهذا الفكر بالتأكيد يكون فكراً ذاتياً .

أما « الأنا » فقد ظهرت فى خاتمة المجموعة (الميثويولوجية) ومهد لظهورها « شتراوس » نفسه . بعد أن استعمل « شتراوس » [نحن] بمعنى [الأنا] فترة طويلة ظهرت فى كتابه [الإنسان العارى] وما قبله .

ونجد أنه فى مجموعته الميثويولوجية يعود إلى استعمال لفظ [الأنا] فكان له الحق أن يلقى عليها نظرة من الخارج .

أى: تقييم « شتراوس » نفسه لنفسه وفى ذلك يقول :

[إذا كان آن [للأنا] أن تظهر . فتوقيت ذلك هو عندما تكون قد انتهت من عملها الذى يحتم استبعادها عندئذ يمكنها بل ينبغى عليها أن تلقى على هذا العمل نظرة عامة هى شبيهة بنظر كل من أراد أن يقرأ هذا العمل دون أن يكون قد اضطر للكتابة] .

إن هذا الأمر من « شتراوس » يوضح أنه يرجع فى آخر كتاباته عن قضية « الذاتية » التى خلطت أوراقه بينه و بين الوجودية الذى يعاديها .

وهذا كله إضطراب فلسفى فى البناء الفلسفى للفاسفة البنيوية . كما يمثلها (شتراوس) .

فإنه بعد أن ينكر (الأحداث) ويعاديها كما ألحنا نجده فى آخر أيامه يقول: إن الإنسان عندما يحدث فلسفة بنيوية عليه أن يطل على بنائه الفلسفى بذاته [الأنا].

وهذا أمر فى غاية الغرابة ولكنه الاضطراب الذى يتفق مع عقول هؤلاء [الفلاسفة] المعاصرين.

شتراوس ومكانته العلمية:

أشرنا إلى أن الفلسفة البنيوية تقدم تفسيراً كافياً لا يلجأ إلى أى واقع خارج النسق فالمعرفة البنيوية أساساً يجب أن تنصب على دراسة (الحالة) أى: الموضوع.

وهذا القول يفترض أن هذه الدراسة كاذبة كما يفترض أيضاً أن (الموضوع) يحتوى على معقولية ذاتية ومستقلة.

غير أن هذا القول من شأنه أن يضعنا أمام مشكلتين أساسيتين.

١ — مشكلة تتعلق بالمساهمة فى العلوم الإنسانية.

٢ — ومشكلة تتصل بالعلاقة بين النفس العارفة، والشىء المعروف.

أما فيما يختص بالمشكلة الأولى فإن «شتراوس» رفض الفلسفة ورفض مساهمتها فى العلوم الإنسانية كما ظهر فى موقفه من (التاريخ) وموقفه من (التحليل النفسى) الذى أحبه وعشقه لأنه ألهمه بفكرة اللاشعور وأوحى به إليه إلا أنه فى النهاية ينقد التحليل النفسى لأنه ملجأ يحتمى به «الشعور» أو الدافع.

أما فيما يختص بالمشكلة الثانية وهى العلاقة بين النفس العارفة والشىء المعروف فإن «شتراوس» يحاول أن يقدم هذه المشكلة بما يسميه [المبدأ المستتر للنسق] يقول: [إن البنائية الأصيلة — يقصد الفلسفة البنيوية —

تحاول أولا أن تمسك بالخصائص الأساسية لأنماط معينة . وهذه الخصائص الأساسية لأنماط معينة . لا تعبر عن شيء يكون خارجاً عنها وإن كان لابد وأن تتصل بأشياء خارجة عنها . فينبغي الاتجاه نحو جهاز المخ منظوراً إليه كشبكة حيث الأنساق الأيديولوجية المختلفة تترجم (خاصية) أو أخرى لبناء معين وحيث يكشف كل نسق عن نمط معين من العلاقات] .

ونتساءل عن العنصر الموجود خارج النسق المدروس وهو عنصر ضروري ونقصد به (النفس) التي تلاحظ وتأمر ؟ !

يجيب « شتراوس » بأن [هذه الخصائص يمكن أن ترد إلى تنظيم مخي] . أي : صادر عن مخ الإنسان .

ولنا أن نسأل هل هذه الشبكة المخية هل هي من نفس نمط الأنساق المدروسة ؟ .

ونسأل أيضاً وفي هذه الحالة كيف يدرك الشبيه شبيهه ؟ .

وهل هو مختلف عنه ؟ .

وهل السند الذي نرجع إليه في هذا الإختيار : هل هو سند تاريخي أم سند عقلي ؟ ؟

إن هذا الغموض في موقف « شتراوس » يمكن أن ينكشف في عبارة أخرى يقول فيها : [إن ما أنجزته الفلسفة البنائية هي أنها كشفت أمام الشعور موضوعاً آخر غير ذلك أي : أنها وضعته أمام ظواهر إنسانية وهي تماثل العلوم الفيزيائية والطبيعية .

إذا كان هذا الموضوع الآخر هو عبارة عن (أنساق ثقافية) وليس من المدهش هنا أن يتعرف العقل على قوانينه في هذه الأنساق فالشبيه يدرك الشبيه والشيء يدرك بالشيء] .

أي: أن الشعور يدرك (ذاته) بخلاف ماجاء فى النص من أن البنائية تكشف أمام الشعور موضوعاً آخر .

نقد :

وهنا نرى أحد الباحثين وهو ينتقد «شتراوس» فيقول:[إن الغموض بل التناقض فى موقف شتراوس واضح فالشيء هو نفسه وغيره فى نفس الوقت غير أن التناقض الذى يحدث هنا هو فى الحقيقة يعفى « شتراوس » من مواجهة مسألتين تظهران فى هذا الصدد :

أولا : من أين أتت الرغبة فى الكشف أو إرادة الكشف عن هذا الموضوع الآخر ؟ ومن أين أتت القوة لتنفيذها ؟.

ثانيا : ما مصدر أصل هذا الحجاب الحاجز بين النفس التى تعرف، وبين الواقع المعروف ؟] .

وخصوصاً : أن « شتراوس » يحدد أن هذا الواقع هو نفس الرغبة المفقودة وقد ظهرت .

أو بعبارة أخرى: إذا كان الشعور لا تختلف مادته عن الواقع الذى تعامل معه .

أى : إذا إعتبرنا أنه هو هذا الواقع نفسه فقد انكشفت حقيقته .

وهل لنا عندئذ أن نسأل : كيف تنكشف هـــذه الحقيقة ؟ ومتى تنكشف ؟ وما الذى يؤجل تكشفها ؟ .

ثم يقول الناقد[وإذا كان من الصعب أن نجد إجابة على هذه الأسئلة عند « شتراوس » فلا أقل من أن يعطى الحق توجيهاً له .

وخصوصاً وأنه هو القائل:[لقد كان هدفى فى كل ما قدمت من أبحاث أن أفهم كيف تعمل (النفس الإنسانية) . وإذا كانت هذه الأسئلة فلسفية

بالدرجة الأولى فلعله لم يكن بوسعه أن يتعرض لها لأنه وإن كان يلمح المنظر الفلسفى من بعيد إلا أنه يفضل التحول عنه إلى الطريق الذى رسمه لنفسه[1]] .

مكانته العلمية :

سنحاول الآن أن نبحث عن المكانة العلمية لفيلسوف الفلسفة البنيوية بعد أن بحثنا فى مكانة (شتراوس) الفلسفية .

الحق أنه فى الحديث عن مكانة « شتراوس » العلمية نجد أن النقاد يكادون أن يجمعوا عليها .

إلا أنهم رغم ذلك يتفقون على أن كتاباته عسرة الفهم كما يتفقون على أن نظريته موغلة فى التعقيد .

وهذا الأمر ليس غريباً فقد توقعناه من خلال المنهج الذى لمسناه فى الفلسفة البنيوية وعند « شتراوس » بالذات فيلسوف البنيوية .

لأننا ندرك تماماً أهمية لمس (التعقيد) إنما هو تابع من تناقض الفكر البنيوى .

نقد :

وقد أخذ على « شتراوس » أنه فى بعض الأحيان كان ينسى منهجه العلمى ويتصرف كما يقول « أدموند ليتش » كمحامى يدافع عن قضية « لا كرجل علم يبحث عن حقيقة ».

وكما أخذ عليه أيضا : أنه — كعالم — ينبهر بالكمال المنطقى والانساق وهذا ليس من سمات العالم وإنما هى من سمات الفيلسوف العالم .

---

(١) راجع ص ١٨٥ من ك (مشكلة البنية) د / زكريا إبراهيم .

كما أخذ عليه أنه كان يأخذ المعنى العام ثم يعممه ويصوغه بلا منهج قولا عاما رغم أن الشواهد لا تكون معه ولا تقره[١] .

كما كان يقبل القضايا (الظنية) ويعتبرها حقائق مقبولة طالما أنها تتمشى مع توقعاته المحسوبة بالمنطق .

وقد اضطرب كثيراً العالم (شتراوس) بسبب ذلك .

لأنه بهذا التقبل قد يصل الأمر عنده إلى إنكار الحقائق التى تسير على عكس النظرية التى يرجوها .

وهذا ليس من سمة الفلاسفة كما أنه ليس من سمة العلماء .

وقد انتقد العلماء « شتراوس » لأنه يتناول الأشياء المحسوسة فى نسق رياضى صارم وهو ينسى أن (الرموز) الذى يستخدمها الرياضيون يجب أن تكون محايدة من الناحية الانفعالية .

وفى مقام النقد استغل [ديموندليتش] عبارة قالها « شتراوس » تقول : [إننا فى دراستنا للواقع نتوصل إلى مبادىء عامة للحياة من الممكن أن تخدمنا هذه المبادىء فى إصلاح عاداتنا نحن. ذلك أنه مجتمعنا نحن الذى يمكننا أن نغيره دون أن ندمره].

إستغل « ديموند » هذه العبارة فوصف « شتراوس » بأنه [خيالى] وقال إن هذه الصفة ضد العلم لأنها تجعلنا نقبل بصعوبة شواهد علم وضعى كما يظهر لنا .

---

(١) وهذا يتناقض مع (الكمال المنطقى) .

ويذكر أحد الباحثين :[أنه مهما كانت قيمة هذه المآخذ على منهج « شتروس » ،

فينبغي الاعتراف مع [دون دى ريشت] بأن هذا المنهج يمكن أن يقيم ماله من وظيفة إجرائية .

فإذا تمكنا من تطبيق هذا المنهج على المعطيات الأنثروبولوجية بغرض الوصول إلى (لمحات) لم تكن لها من قبل خاصة إذا كانت هذه اللمحات تلقى الضوء على وقائع ليست من السهل التنبؤ بها عندئذ سنشعر بما لمنهج (شتراوس) من نتائج إيجابية][(١)]

النفس الإنسانية فى الفلسفة البنيوية :

بعد أن رأينا الفلسفة البنيوية وأنها فلسفة إلحادية مادية وأن فيلسوفها (ليفى شتراوس) كان يباهى بإنكاره العقائد الدينية والميتافيزيقيا .
فإننا لا يمكننا أن نتصور أن تكون الفلسفة البنيوية لها موقف أو مكانة تغاير المكانة التى عليها نفس الفلسفة وهى (الاتجاه المادى) .

ومن هنا يجب ألا يتبادر إلى ذهننا أن النفس عند « ليفى شتراوس » هى وحدة (ميتافيزيقية) مستقلة عن الجسد أو أنها للإنسان بمثابة الوعى أو الشعور أو شىء من هذا القبيل .

ولكن النفس فى الفلسفة البنيوية شىء سلبى كما أكد الفيلسوف (فيجاس)

---

(١) ولعله يقصد بالنتائج الإيجابية : هذا الجانب الذى يتناقض مع الفلسفة البنيوية . والذى هو فى الواقع أطياف من الجانب الوجدانى والعاطفى الذى أنكره (شتراوس) .

راجع ص ١١٢ من (البنيوية فى الأنثروبولوجيا) .

بأن المقصود بالنفس الإنسانية عند (البنيويين) ليس الشعور وإنما هو بالضرورة (اللاشعور) .

أما « شتراوس » فإنه يقرر بأن قضايا الرياضة تعكس النشاط الحر للنفس ،

ويعنى : أنها تعكس نشاط خلايا المخ حيث إن النفس هى أيضاً شىء . فإن نشاطها يفيدنا فى فهم الأشياء بل إن التفكير البحت يمكن أن يفسرها على أن النفس فى العالم هى نشاط للخلايا فى ذاته .

ونجد أن النفس المتعارف عليها عند الفلاسفة لا وجود لها بهذا المعنى فى الفلسفة البنيوية .

وإنما أستطيع أن أقرر أن البنيوية قتلت النفس أو أعدمتها حيث لا نفس فى الفلسفة البنيوية وإنما أحلت مكانها شيئاً «ما» يسمى (باللاشعور) فاللاشعور هو الوريث للنفس الإنسانية فى الفلسفة البنيوية .

وحينما نتأمل تفسير البنيوية لهذا (اللاشعور) نجد أنه أساس المعقولية وأساس الربط بين الظواهر وأنه متضمن للجوانب الرمزية وأنه يضم بعضها إلى بعض ، وترد الفلسفة البنيوية كل هذه الأمور إلى (قوانين) اللاشعور .

وهذا تعبير لشرح اللاشعور غير مقبول ولكنها تقول به .

فدعوى قوانين اللاشعور باطلة إذ كيف — يتسق مفهوم اللاشعور مع مفهوم القانون ؟ لست أدرى ؟ .

فإننا نجد الفلسفة البنيوية تقول : إنه بفضل قوانين (اللاشعور) يستطيع الإنسان أن يمتلك اللغة وعندئذ يستطيع أن يجعل الأشياء تتكلم إن طبق عليها نسق الرمز.

وبعبارة أخرى: إذا كان البناء اللاشعورى للنفس الإنسانية هو أساس

التفكير الرمزى فى الفلسفة البنيوية فإن ظهور التفكير (الرمزى) هو الذى يجعل الحياة ممكنة وضرورية .

ومن هنا : فإن «شتراوس» فى دراسته للبناء الثقافى . يدعى أنه يكتشف فى نفس الوقت طبيعة الإنسان بل والعالم أيضا وهذه دعوى عريضة .

ويقول فى هذا : « إن الإثنوجرافيا العقلية هى التى تكشف لنا عن سبب معقولية [الأنا] والعالم معاً » .

دور اللاشعور .

وينبغى أن نعلم أن (اللاشعور) عند الفلسفة البنيوية لا يقتصر دوره على الوساطة بين [الأنا] والغير .

إذ هو يكتشف فى أعماق الإنسان بناء (تحتى) يميل (شتراوس) إلى تسميته تفكيراً لا شعوريا وهو ينسق النفس الإنسانية كما ينسق العلم — الذى يسبق النفس الإنسانية حيث كان للعلم وجود سابق على الأشياء عنده .

وكما لو كانت السمات للنفس الإنسانية فى الجانب الثقافى بمثابة مرتبة ثانية للطبيعية .

وهكذا نرى (البنيوية) وقد جردت الإنسان من (نفسه) بعد أن جردته من كل قيمة .

الحقيقة فى نظر الفلسفة البنيوية :

نجد أن اهتمام « شتراوس » بالبحث عن (الحقيقة) يفوق اهتمامه بالإنسان رغم أنه يبحث عن الحقيقة من خلال الإنسان .

ورغم هذا البحث عن الحقيقة فإنه لم يمكنه أن يقدم دعائم فلسفة مادية متناسقة يقول عنها « ليفى شتراوس » بحق [لقد وجد العلم الاجتماعى تحت

البناءات بناء «بعدى» تسير على هديه وفقاً له. أما العلم الذى نتوصل إليه هنا فإنه لا يلغى «الخاص» والجزئى تماما].

وينطلق (شتراوس) إلى خطوة أساسية فى عملية الكشف والاستقراء باعتباره أنه لا يقابل الإستنباط بالنسبة إلى الوظيفة الرمزية.

ويرى (شتراوس) [أن الوظيفة الرمزية هى مبدأ الصواب والخطأ. وذلك أن كثرة عدد وثراء المعانى الذى يمتلكه الإنسان يمكن أن يتعدى دائرة الأشياء المعروفة.

فالوظيفة الرمزية ينبغى دائما أن تكون متقدمة بالنسبة لموضوعها كما أنها لا تصل إلى الواقع إلا إذ تجاوزته أولا فى الخيال][1].

وهنا نلاحظ على « شتراوس » أنه يهتم بتوسيع مدارك (العقل) لكى يتمكن من فهم ما هو سابق على العقل وما يتعداه لدينا ولدى الآخرين.

ويرى (شتراوس) أن (اللغة) و (الرمزية) ظهرتا دفعة واحدة. ولذلك فإنما يمكن أن نطلق عليه تقدم للنفس الإنسانية أو تقدم المعرفة العلمية لا يمكن أن يكون لهذا التقدم معنى إلا أن يكون تصحيحا للتصنيفات وتجميعاً للمتشابهات وتعريفاً للتضمنات وكشفاً لمنابع جديدة داخل شمول مغلق وكامل مع النفس البنيوية.

ويقصد (شتراوس) بفكرة الشمول المغلق أن مستقبل الإنسان بل مستقبل العالم كله بأسره يظل حبيساً داخل الحدود التى رسمها (الأنموذج).

ولهذا فإن الاعتقاد فى التقدم نحو تحرير البشرية إنما يثير الشعور بالضيق عند «ليفى شتراوس».

---

(١) لعله يقصد بالخيال هنا : (التصور) الذى ينكره.

وللعلم فإن « شتراوس » كان لا يرى أن يتكلم الناس عن معنى الحرية للشعوب، وعن تقدم الأمم بل كان يرى أنه قبل أن تخاطب الشعوب بذلك فإنه يجب أولا أن تهيأ لها فرصة العمل واستقرار العيش لهذه الأمم فالأمم تحتاج إلى عمل وطعام ولا تحتاج إلى حرية أو أمثال ذلك من حقوق الإنسان وغيرها[1] .

الزمن عند البنيوية :

أما الزمن فإننا إذا أردنا تعريفه فى الفلسفة البنيوية فإننا نستطيع أن نأخذه من فكرة الشمول المغلق عند (شتراوس) لأنها تتمشى مع تطوره أيضا فى فكرة الزمن الذى يشبهه بسلسلة حلقات البشر تعبر قروناً طويلة وهى مع ذلك لا تمثل سوى إنسان واحد لا يتقدم أبداً . وإنما يظل (الإنسان) ثابتاً مهما تصور أنه (يتقدم) . فلا زمن على الحقيقة.. وإنما هناك (حركة للفلك) بغرض يتعلق بنفس الأفلاك لا بالإنسان .

هذا هو مفهوم الزمن فى الفلسفة البنيوية .

فكرة العقل المقدس والمانا :

كثيراً ما كان تعترض فلسفة البنيوية مشكلات تتناقض صراحة مع البناء النسقى للأفكار العامة للفلسفة البنيوية ويشعر (شتراوس) نفسه بهذا التناقض .

---

(١) وهذا يشير إلى طابع الفلسفة البنيوية. من أنها جاءت لتخدم الجانب المادى فى الإنسان . والتى لاتراعى غيره فى الإنسان المعاصر . وتهمل متطلبات « الروح » التى لا تعترف بها . .

فنجد أن فيلسوف البنيوية كان يضطر إلى الاستعانة بما يسمى (بالعقل المقدس) أحياناً كما اضطر إلى إدخال فكرة (المانا) MANA على اعتبار أنها الصفة الملازمة لكل تفكير بدائى أو متحضر.

ويقصد (شتراوس) بالعقل المقدس: ذلك الشىء الذى يستوعب عدم التكافؤ بين (الدال والمدلول) فكان يستعين به لحل هذه المشكلة وهو يرجع سبب عدم التكافؤ إلى زيادة فى كثافة وكم الدال بالنسبة للمدلول. إن هذا الكم (الدال الزائد) يسميه (شتراوس) : [المانا].

ويعرف (شتراوس) [المانا] بأنها قوة وعمل ، صفة وحالة ، إسم وفعل فى نفس الوقت. مجردة وملموسة موجودة فى كل مكان ومحددة فى مكان معين فى نفس الوقت و[المانا] إذن هى هذا كله.

يقول (شتراوس) نحن ظاهرياً أبعد ما نكون من [المانا] أما فى الواقع فنحن قريبون جداً منها وذلك لأنه يوجد فارق فى الدرجة وليس فى النوع بين مجتمعات رسخ فيها المعرفة العلمية وأخرى لم يتسن لها ذلك. [فالمانا] توجد وراء كل فن أو شعر أو اختراع أسطورى أو جمالى.

نقـــد :

يلاحظ أنه اخترع مفهوم [المانا] وهـــو مفهوم (وهمى) وقد وصفه بأوصاف متناقضة ومتضاربة كأنه يريد أن يوقفنا على معانى الوجود والعدم ومعانى التضارب ومعانى الاضطراب فاخترع هذا الشىء — العقل المقدس والمانا — ووصفه بأوصاف متضاربة. والذى لا يمكن أن يحكمه « نسق » واحد. وهو ما حاول الفرار منه.

ويريد بذلك أن يدلنا على أنه يملك شيئاً (غريباً) يستطيع أن يحل به

كل المشكلات وكأنه فى دائرة أسطورية ويعيش فى مجتمع بدائى يتناول بعض أعمال (الشعبذة) فى هذا النطاق الفلسفى المادى .

وترى الفلسفة البنيوية أن البنائية تجعل العلم نابعاً من التفكير الرمزى والتفكير العلمى طالما وضع [المانا] فى اعتباره . إلا أنه يحاول أن يمتصها أو أن ينظمها إلى حد (ما) .

وهكذا يكاد أن يهتف بنا الفكر البنيوى بأن هذا [المانا] إنما هو (عقل ميتافيزيقى) ينظـــم النسق البنيوى .

وهذا الغموض فى هذا الشىء إنما يوضح لنا تردد البنيوية بين التفكير الرمزى وإدراكه لشئون العالم المحسوس ورده إلى النسق الرمزى، وبين موقفه من الدال والمدلول وعلاقته بتنظيم العقل وإعادة تنظيم فئة المدلولات وأن التفكير العلمى لا يبدأ بتدريب صورى وإنما بموقف نسقى يميل إلى أن يتطابق أى التفكير المجرد الصورى أبعد ما يكون منهما لأنه يأخذ فى الاعتبار فئة الدال وحدها لا فئة الدال والمدلول .

ومن هنا : فإننا إذا أردنا أن نتلمس موقفاً واضحاً لمفهوم المذهب الصورى بوجه عام وفى الفلسفة البنيوية بوجه خاص فى موقفها من البنائية .

فإننا نرى أن المذهب الصورى كما نعلم يحتم التقابل بين المجرد والمحسوس بينما (البنيوية) ترفض هذا التقابل تماما .

يقول [ليفى شتراوس] : إن المذهب الصورى يفصل بين الصورة والمضمون فالصورة هى وحدها المعقولة أما المضمون فهو مجرد عن أى قيمة لها معنى .

كما أن التقابل فى الفلسفة البنيوية غير موجود فلا يوجد (المجرد) من ناحية و (الملموس) من ناحية أخرى .

كما أن الصورة والمضمون ينتسبان إلى طبيعة واحدة ويخضعان إلى نفس التحليل .

بهذا نجد أن المنطق الصورى القديم قد ألغته الفلسفة البنيوية . ولم تعتمد عليه فى وسائل معرفتها أو فى وسائل تحليلها اللغوى [١] .

وإنما اعتمدت على منطق جديد هو (المنطق اللاشعورى) الذى يمكن أن نطلق عليه « المنطق البنيوى » .

وهذا الإطلاق أرجو ألا أكون قد تجاوزت فيه الحقيقة لأن البنيوية تعنى بالمنطق اللاشعورى الشيء الذى يخضع لما يخضع له المنطق من قوانين وينصب على دراسة الملموس فقط ولا يعرف المجرد ولا يعرف الشعور ولا يفرق بين [الأنا] و [نحن] وإنما فقط ينطلق من (اللاشعور) .

وتذكر الفلسفة البنيوية (مثالا) فى هذا المقام تقول أن (الملك) ليس فقط (ملكا) و (الرعية) ليست مجرد (رعية) بل إن هذه الكلمات أو المدلولات التى تغطيها تصبح وسائل محسوسة لتركيب نسق معقول يتكون من التقابلات بين ذكر أو أنثى أى : « الطبيعة » وفوق وتحت أى : « الثقافة » كما يتكون من كل المتغيرات الممكنة من هذه الألفاظ .

ونستطيع أن نخلص من هذا كله أن الفلسفة البنيوية لها منطقها الخاص بها الذى تستعين به فى معرفتها وفى صياغة الآراء ولا علاقة لهذا المنطق بما نعرفه فى علوم المنطق أو قواعد العقل الفطرى أو النظرى .

وقد وصف أحد النقاد الفلسفة البنيوية كما أوردها «شتراوس» بأنها المذهب عند « كانط » ولكن بدون موضوعه (المتسامى) .

وهذا يعنى : أن البنيوية تختلف عن « الكانطية » . لأنها لا ترى فى البناءات مقولات تتعلق بالذات .

---

(١) رغم وضوح مبحث « الدلالة » فيه ١٠ . .

فالبنيوية تنظر للبناءات على أنها موجودات فى الأشياء وتعكسها على اعتبار أنها شيء من الأشياء .

الفلسفة البنيوية والتـاريخ :

ألمحنا من قبل إلى أن «شتراوس» فيلسوف البنيوية كان (يرفض التاريخ) وإن كان قد اتخذ «ماركس» من ركائز منهجه العلمى .

ومعلوم أن «ماركس» كان يعلى قدر التاريخ و «الديالتيك» التاريخى كان عنده ذو مكانة سامية لدرجة أنه أطلق على الماركسية مذهب (الجدل التاريخى) أو (المادية الجدلية) .

فكيف نتصور « ليفى شتراوس » وقد انبهر بالماركسية يعادى التاريخ الذى قامت عليه هذه الماركسية ؟

الحقيقة أن « شتراوس » كان يهاجم التاريخ بقوة ويقول: إنه ينقده لغرض دفاعى ونقدى .

ويعلل فى مجال الدفاع بدعوى أنه يعجبه بسبب أن هذا البحث (بحث أنثروبولوجى) تحكمه الضرورة وهى من أهم صفات العلم وذلك لأنه ينصب أساساً على بناءات لاشعورية فى حين أن البحث التاريخى الذى يدرس الأحداث التاريخية على أنها تعبيرات شعورية يظل أبدا سجين صفة (الشعور) وهى ضد (العلم) .

وكانت هذه (النقطة) هى نقطة الخلاف الأساسية بين فيلسوف

---

(١) يلاحظ أن دعوى (الضرورة) فى غير محلها .. وأنها هنا تشبه: (الحتمية) الماركسية ..

الوجودية «سارتر» وفيلسوف البنيوية «ليفى شتراوس» عما إذا كان يمكن أن يعطى مكاناً للتاريخ عند البحث عن حقيقة الإنسان .

أم نبحث عن الإنسان دون الالتفات إلى التاريخ .

وترى الفاسفة البنيوية أن (التاريخ) لم يقدم للإنسانية شيئاً ، ولم يحسم لها أى قضـــية أبدا . إن التاريخ عند الإنسان موضوعات كلها (خلافية) ولم يهيء للإنسان تفسيراً علمياً للنسق .

والبنيوية ترى أن كثرة الجدل بين المؤرخين ليست فى الواقع إلا علامة على صعوبة معينة تخص الاتجاه البنيوى والأنثروبولوجيا .

بل إن كثرة ظهور هذا الموضوع فى كتابات (شتراوس) ما هو إلا مجهود متواصل لمحاربة السيطرة على نقص معين فى النظرية البنائية ...

هكذا يصف النقاد (المنهج البنيوى) . فإن النقاد عندما يصفون «شتراوس» أنه يعادى التاريخ فإنما يرمون بذلك إلى : تسجيل (التناقض) فى الفلسفة البنيوية . لأننا لو إستقرأنا (التاريخ) لظهر أن الفلسفة البنيوية فلسفة مضطربة مختلة بحكم التاريخ ولا تقوم على أسس .

فمن هنا كان (شتراوس) يحاول أن يهدم (المنهج التاريخى) وأثره فى الثقافة أو فى المعلومات المنهجية حتى لا يكون التاريخ سبباً فى فضح التناقض فى الفاسفة البنيوية أو إلى انهيار المذهب البنيوى بفعل المنهج التاريخى .

فعداء (شتراوس) للتاريخ كان (مخططاً) له منه . ولكن بمنهج (العقلاء) وليس بمنهج : النسق البنيوى . ! ...

النزعة الإنسانية فى الفلسفة البنيوية :

قد يتصور الإنسان أنه ليست فى الفلسفة البنيوية (نزعة إنسانية) خاصة عند فيلسوفها « ليفى شتراوس » لأنها قدمت نفسها على أنها تبحث فى العلوم الإنسانية لا فى التركيب الإنسانى وإنما فى تحليل الثقافة إلى الطبيعة كما ترد الحياة إلى مجموع شروطها « الفيزيوكيمائية » .

ولكن الطريف أنها تدعو (لنزعة إنسانية) ولكن بمنهج الفلسفة البنيوية . لا كما نعرفه من هذه (المصطلحات) الفلسفية فى : الفلسفة الحديثة .

رغم هذا الاتجاه الذى يجعل الأمل فى النزوع إلى النزعة الإنسانية أملا ضعيفاً .

فإننا نجد أن «شتراوس» يؤكد أن الفعل « يحلل» لا يتضمن أبداً — بل إنه يستبعد — تحطيم الأجزاء المكونة للجسم الذى يخضع تحت تأثير جسم آخر . فإذابة جسم صلب فى سائل يغير وضع جزئيات الجسم الصلب.

غير أنه يعطينا وسيلة للاحتفاظ بهذه الجزئيات إلى أن نستعيدها عند الحاجة إليها وحتى نتمكن من دراسة خصائصها .

كما أن إخضاع الظواهر للبحث عند (شتراوس) يشترط عدم إفقار الظواهر بل العمل على إثرائها والمحافظة على أصالتها .

وهذا القول بالمحافظة على الأصالة والإثراء هى التى يشتم منه أنه يكاد يقول بنزعة إنسانية .

ونحن إذ نتحسس هذا يصعب علينا أن ننسب إلى الفلسفة البنيوية أنها تقول (بنزعة إنسانية) لأنها البنيوية ومعها « شتراوس » ترفض حرية الإنسان وترفض قدراته الفاعلة بالإطلاق .

كما أن الفاسفة البنيوية تلغى الفرد الإنسانى وقيمه المقدسة والإنسانية.

ويكفى أنها (أعدمت) النفس الإنسانية للإنسان واعتبرتها شيئاً من الأشياء المادية وحرمت الإنسان من عقائده الدينية وأصوله الميتافيزيقية. وأجرت عليه مايسرى على الأشياء المادية من القوانين الحتمية داخل شمول مغلق فى كل الأمور والأحوال دون استثناء .

والحقيقة أن دعوى دخول الإنسان داخل الشمول المغلق. يجعل العاقل لا يجد فرقاً بين هذه النظرية وبين ماتدعوا إليه الفاسفة الوجودية ؟ .

ولكن مع هذا نجد من يقول [إن النظرة الفاحصة لكتابات « شتراوس » من الممكن أن تكشف عن بداية متواضعة لنزعة إنسانية لا تبدأ من (كوجيتو) عقلى[1] . وإنما تبدأ من (اللاشعور) وتمر بتركيب المخ .

فالنزعة الإنسانية عند (ليفى شتراوس) تقوم على البحث فى الأعماق وهو — شتراوس — يقارن موقف الأنثربولوجى بعالم الفلك الذى يكشف خصائص هامة لموضوعات بعيدة جداً عن هذا البعد ذاته . إذ كلما اقتربنا من موضوعات علم (الفلك) ربما تعذرت علينا الرؤية إذ بعد المسافة الذى تتميز به النظرة الفلكية ولم يسمح بالذهاب إلى أبعد من المعطيات الموجودة على السطح هو الذى يتيح لنا (الرؤية)[2] .

ولهذا ذهب البعض إلى أن كتاب « شتراوس » [الآفاق الحزينة]

---

(١) كما كانت عند الفيلسوف الألمانى (كانط) .

(٢) راجع ص ١٤٦ من ك [البنيوية فى الأنثروبولوجيا] .

ملىء باتجاهات النزعة الإنسانية . وكأن صاحبه يبحث عن ميلاد البشر من خلال تعرفه على أحوال الثقافة .

وتؤكد (الفلسفة البنيوية) أنه مع ظهور المجتمع الإنسانى . ظهر الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة ومن العاطفة إلى المعرفة ومن حالة الحيوان إلى حالة الإنسان[١] .

وهذا بالتالى يحتم التسليم بوجود ملكة ضرورية لدى الإنسان تدفعه لاجتياز الصعوبات الثلاث . ويقصد بها [الطبيعة — العاطفة — الحيوانية] .

وأيضاً يحتم التسليم بوجود صفات متناقضة لدى الإنسان منذ الأزل . وهى الشروط اللازمة للإنتقال من الحيوانية إلى الإنسانية عند (الفلسفة البنيوية) .

وترى (البنيوية) أن الصفات العامة للمخ الإنسانى ينبغى أن تتحول إلى صفات (عالمية) للثقافة الإنسانية .

ومن هنا : فإن النزعة الإنسانية فى الفلسفة البنيوية الجديرة بهذا الإسم هى التى تستند إلى (الأخلاق) الحالة فى (الأساطير) ... !! .

يقول فى ذلك الفيلسوف « شتراوس » : فى قرننا هذا حيث شرع الناس فى تجميل العديد من صور الحياة يجدر بنا أن نؤيد ما تقوله (الأساطير) من أن النزعة الإنسانية الجديرة بهذا الاسم لا تبدأ [بالأنا] بل إنها تضع العالم قبل الحياة والحياة قبل الإنسان واحترام الكائنات الأخرى قبل محبة الذات .

---

(١) يلاحظ تأثر الفلسفة البنيوية بمذهب « النشوء والارتقاء » الذى ادعاه « تشارلس داروين » ت ١٨٨٣ م .

نقـــد :

نلاحظ هنا أنه يعتقد أن (الأساطير)[1] لها وظيفة فى عصرنا الحاضر وفى فلسفته البنيوية .

وهذه دعوى فى حد ذاتها تمثل (كارثة) عقلية ترفضها كل الفلسفات وكل العلوم .

ويحق لنا أن ندهش: إذ بعد التقدم العلمى والفلسفى — فى هذا العصر — نجد فيلسوفاً معاصراً يخرج على الناس بفلسفة جديدة ويقيم فلسفته هذه على (الأسطورة) الذى يجعلها مصدراً من مصادر الارتقاء الإنسانى ، وهذه تأخذ الإنسان المعاصر إلى الهاوية .

ولكن هذه النزعة التى تتحدث عن العالم والكون والكائنات كانت فى الواقع الأوروبى تكشف عن مواجهة قوية للحياة الغربية التى اتسمت بالأنانية والفردانية التى أزكتها المذاهب الوجودية .

لقد رأينا الآن أن النزعة الإنسانية عند البنيوية كما جاءت فى فكر (ليفى شتراوس) إنما هى (نزعة) من نوع خاص لا تتفق مع الإنسان كإنسان .

دفاع « شتراوس » :

وقد انتقد بعض الفلاسفة هذه الفلسفة البنيوية التى خلت من النزعة الإنسانية .

وقد دافع « شتراوس » عن نفسه وعن فلسفته عندما اتهم بأنه ينكر (النزعة الإنسانية) بأنه لم يتعمد ذلك .

---

(١) الأسطورة: قصة خرافية يسودها الخيال وتظهر قوى الطبيعة فى صورة كائنات حية Mythe .

ولكنه (عرض) فلسفته التى يرى أنها قائمة على منهج علمى صحيح ، ولا يهمه بعد ذلك إذا كان هذا (العرض) قد حطم النزعة — أو القيمة أو الموروثات القديمة للإنسان فإن هذا أمر لايهمه فى قليل أو كثير .

بل إنه يتباهى بأنه لا يعنيه إذا قدم فكرة (ما) وهذه الفكرة تكون قد حطمت — دون أن يدرى — أفكاراً أخرى من منطلق : رد الفعل . فهذه القضية لاتعنيه أبداً .

ونجده يقول فى كتابه [الإنسان العارى] : — [إن بعض الفلاسفة ينتقدون الفلسفة البنائية ويأخذون عليها أنها ألغت الفرد الإنسانى وألغت قيمه المقدسة وإنى لأندهش تماماً كما كنت سأندهش لو أن ثورة قامت بسبب (تيارات الحمل)[1] ، خصوصاً لو أن هذه الثورة تدرعت بأن تمدد الهواء الدافىء ثم حركته إلى أعلى قد يهدد حياة العائلة ومعنويات المنزل وذلك بسبب أن تمدد الدفء قد يفقد حياة العائلة صداها الرمزى والمعنوى .

إن علوم الإنسان عليها أن تضع فى الاعتبار كما هو الحال فى علوم الطبيعة أن حقيقة موضوع الدراسة لديها ليس موجوداً برمته على مستوى إدراك الفرد لها .

وذلك لأن هذه المشاكل الظاهرة تخبىء وراءها ظواهر كامنة ليست أقل أهمية وهكذا دواليك إلى أن نصل إلى طبيعة أخيرة تختبىء دائماً ولن نصل إليها أبداً][2] .

ويلاحظ على هذا النص أنه يتحدث عن شىء لايدرك أبداً ويذكرنا بما ذكره أفلاطون عن (المثل) ، ولكنه هنا شىء (مادى) مدمر يهدد الثوابت . .

---

(١) نظرية الحمل هى (النظرية المفسرة لحركة الهواء داخل الحجرة) .

(٢) راجع ص ١٥١ من ك [البنيوية فى الأنثروبولوجيا] .

نظرة عامة :

وإذا أردنا أن ننظر إلى «ليفي شتراوس» فيلسوف البنيوية من ناحية علاقته بالعلم والفلسفة فإننا نجد أن «شتراوس» يعتبر عالماً من نوع خاص وفيلسوفاً من نوع خاص أيضا فهو (عالم) لأنه حاول أن يجعل علماً إنسانياً يدرس بمناهج العلوم الطبيعية وإن كانت هذه المحاولة ضد (طبائع) المناهج وهذه هي نوع الخصوصية عنده .

وهو فيلسوف من نوع خاص لأنه الفيلسوف الذى اعتقد أنه قد يكون الوحيد فى تاريخ الفلاسفة الذى انشق عن الفلاسفة باعتبار أنه فيلسوف ويدعى أنه ليس فيلسوفاً .

ولابد هنا أن نوضح أنه قد تحامل كثيراً على الفلسفة والفلاسفة وقد إتهم الفلاسفة بأنهم أهملوا كثيراً من المسائل الجوهرية وأن الفلاسفة غير قادرين على الاعتراف بهذه المسائل لتقييمها وذلك بسبب جهل هؤلاء الفلاسفة وانتقد «ليفي شتراوس» الفلاسفة لأنهم أخذوا عليه أن المعنى الغزير الذي استخلصه من الأساطير لم يكن كما توقعوه — هكذا يدعى — ثم يتحامل أو يشتم — إن صح التعبير — الفلاسفة فيقول [فهم يتعالون بالصمم ويرفضون الاعتراف أمام الصوت المرتفع الذى يجلجل بكلمات أتت عبر العصور وصدرت من أعماق النفس] كما جاء فى كتابه [الإنسان العارى] [1] .

---

(١) راجع ص ١٥٥ من المرجع السابق .

نقـــد :

ونلاحظ هنا بأنه يتحدث عن (أعماق النفس) ونحن نعلم موقفه من النفس وإهماله لها ... مع غيرها من هذه الأمور .

من هنا : نجد أنه متضارب وأنه تفلت منه عبارات (ميتافيزيقية) رغم أنه ينكر الميتافيزيقيا وهذا يدل على أنه : (نسيج مضطرب) .

ونريد أن نشير هنا إلى مسألة هامة وهو أن [ليفى شتراوس] فى تحامله على الفلاسفة فإنما يبشر من وجه نظره طبعاً بأفول الفلسفة .

وقد ظهر ذلك حينما سئل سؤالا مباشراً : إلى أين تذهب الفلسفة الآن ؟ .

فقال : إن هذا التساؤل يفضى إلى أحد احتمالين إذا استمرت الاتجاهات الحالية فى الفلسفة فيخشى أن تؤدى إلى واحد من مخرجين :

أما الأول : فهو مخصص لمن سار فى (فلك الوجوديين) وهى محاولة يتضح بها إعجاب المرء بذاته ولا تخلو من سذاجة وفيها يغزو الإنسان المعاصر نفسه ويستشعر نشوة تلقائية ويبتعد عن المعرفة العلمية التى يحتقرها وعن الإنسانية الحقة التى يجهل عمقها التاريخى كى يظل داخل عالمه الصغير المغلق الذى اتبع اتجاه الفلسفة (الوجودية) وهم محاصرون بجدران أربعة[1] لحالة إنسانية تم تفصيلها على مقياس معين نجد أنهم يمضون يومهم فى تكرار مسائل ذات طابع محلى وضجيج جدلى بغير أن يمدوا البصر .

---

(١) يقصد : الذات والأنا والوجود والعدم .

أما الثانى : فهو أن الفلسفة وقد كادت تختنق فى هذا الجو فإنها أرادت أن تتنفس الهواء وتبتعد فى ذلك عن البحث عن الحقيقة التى مازالت تمارسه الفلسفة الوجودية وأصبحت فريسة سهلة لكل أنواع المؤثرات الخارجية وضحية لنزواتها الخاصة وتخشى الآن من أن ترد إلى نوع من (الفن) أو أن تركن إلى نوع أسماه للأسف [الببغاء الجمالى] .

فتهتم بإغراء الإنسان كى يتشبث بها وتقدم له فتات أفكار قديمة فى أسلوب جديد .

وهى فى ذلك لا تنطلق من خلال الحب للحقيقة بل حب المظهر الجذاب ويكون نجاحها عندئذ : قد ارتبط بما هو حسى وجمالى .



هـــوامش على الفلسفة البنيوية

ولعلنا الآن استطعنا أن نلم إلمامة سريعة بالفلسفة البنيوية من خلال فكر [كلود ليفي شتراوس] وهكذا يمكننا أن نصل إلى عرض بعض الهوامش السريعة عن (ليفي شتراوس) كفيلسوف للفلسفة البنيوية نوجزها في الآتي :

١ — آثر [شتراوس] الصمت والسلامة عندما ابتعد عن تناول قضايا الإنسان في عصره . واهتم بدراسة (اليوتوبيا) في المجتمع البدائي . واتخذها مصدراً لفلسفته . .

٢ — ذهب « شتراوس » إلى أن جميع الحضارات متوازية في الأفضلية ولا ينبغي أن نعلي حضارة على حضارة . لأن التآزر والحوار بين الحضارات هو ما ينبغي أن نتطلع إليه .

وليس هناك أي مجال لأفضلية حضارة على غيرها لأنه لا يوجد لدينا معياراً للتفاضل .

ويعقب أحد الباحثين على ذلك فيقول : يبدو هنا « شتراوس » في صورة المفكر الموضوعي الذي أعاد الاعتبار لكل حضارات العالم وجعلها جميعاً على قدم المساواة منادياً بضرورة الحوار بينها [1] .

---

(١) ولا شك أن مثل هذه (الومضات) البراقة تروج لفلسفته . راجع ص ١٤٦ من ك [تيارات في فلسفة الحضارة] .

٣ — إقتطع « شتراوس » البعد (العاطفي) للحياة الإنسانية ورده إلى مجال العقل والمنطق واتجه في ذلك إلى قيمة التجربة الوجدانية الشعورية .

ولا ينبغي أن نفهم من مفهوم رد العاطفة إلى العقل والمنطق أنه جعلها موجودة أو أنها محكومة بمعيار العقل والمنطق أو حتى أنه قال : بتفسير العقل والمنطق لها وهذا منه لو كان يكون شيئاً مقبولا . ولكنه لا يعني ذلك بل ألغى (العاطفة) تماما وأبعدها عن دائرة فلسفته . وأقام العقل والمنطق مكانها فلا مكان للعاطفة عنده . فقد (اقتطعها) .

أما العقل الذي أقامه فهو (عقله) الذي اخترعه وهو عقل (جامد) أما (المنطق) فهو منطقه الخاص به . والذي أسميناه (المنطق البنيوي) .

والملفت النظر حقاً أنه في مفهوم بعض معاصريه أنه حينما رد كل شيء إلى العقل والمنطق ظنوه صادقاً . ووصفوه بأنه وصل بعقلانيته إلى عقلانية عصر (التنوير) في أوربا في عصر النهضة . وعقدوا مقارنة بين عقلانية « شتراوس » وعقلانية عصر التنوير .

ونحن نؤكد هنا : أن عقلانية «شتراوس» لم تستبعد الأسطورة من مجالها بل أخضعتها أيضا إلى منطقها ويعتبرون هذه ميزة « لشتراوس » ولكنها في الحقيقة ليست ميزة بأي معيار وإنما هي نوع من (الفوضى) العقلية عندما توصف الأسطورة بأنها التنوير وتوصف الأسطورة بأنها قد خضعت إلى المنطق أولها منطقها .

هذا كله يدل على الاضطراب العقلي .

والمؤسف حقاً أنه يقول إن هذه (عقلانية) وأنها من سمات الفلسفة البنيوية التي أخضعت العاطفة للعقل .

ويقول هذا الباحث : [وهكذا توحدت عقلانيته مع عقلانية عصر التنوير ، وأنها امتصت داخلها كل أشكال وصور التعبير الأولى كالأسطورة . وامتصت أيضا أرق المجالات الفنية ونعنى بها (الموسيقى) .

وهكذا فرض « شتراوس » شباك (بنيوته) على كل شيء فلم يعد للعقل مكان وللقلب مكان بل للعقل وحده كل شيء][1] .

٤ — وإذا استنفرنا ذلك إلى أن نبحث عن معنى العقل عند الفلسفة البنيوية فإننا نجد أن « شتراوس » يؤكد أن العقل عنده هو عقل جامد يرفض التطور والتقدم .

إنه بهذا يكون عقلا أسطورياً بمعنى أنه عقل ثابت لا علاقة له بالحركة أو بالتغير وهو ينظر إلى كل شيء من خلال النسق الذى يحتويه ويدخل الأشياء ويرتبها وينظمها وفقا لهذا النسق بل هو ينظر — أى هذا العقل إلى الإنسان نفسه باعتباره مجرد جزء من بناء أو نسق يتضمن كل فعالية وأنشطة الطبيعة والثقافة .

ويبدو ذلك النسق أشبه (بدكتاتور) يمارس سلطته بلا ضابط إزاء الذات البشرية فهى محكومة به ولها به خبرة نسقية .

٥ — إنتقد « شتراوس » المجتمع الأوربى المعاصر لأنه يرى هذا المجتمع المعاصر منطوياً على غموض إلى حد (ما) .

لأن المجتمع الغربى المعاصر الذى حقق تقدماً علمياً فى الكثير من الإنجازات التى بهرت المجتمعات النامية والبدائية على حد سواء أصبح هو نفسه مهدداً إلى حد كبير بفقدان (الذاتية)[2] .

---

(١) راجع ص ١٤٧ من المرجع السابق .

(٢) نعجب هنا من تباكيه على الذاتية وهى التى يحاول أن يعزلها عن فلسفته بصورة عامة .

ومن ثم برزت إلى السطح مشكلات (الاغتراب) فى المجتمع الأوروبى كموضع مكانى وزمانى ونقل التقدم التكنولوجى المعاصر عن فلاسفة الحضارة فى عالمنا خاصة الأوروبى .

يضاف إلى ذلك : تناول مشكلات التغريب وفقدان الأصالة بالنسبة للمجتمعات التى تحاول تتبع خطوات (النموذج الغربى) فى التقدم .

كل هذا لايعنى أبداً عند « شتراوس » رفضه (للتكنولوجيا) بقدر ما يعنى تحجيمها وإدخالها ضمن إطار أشمل وأعم .

أو بعبارة أخرى أدخلها — شتراوس — ضمن نطاق البعد الإنسانى.

و«شتراوس» عندما تناول الحضارات الغربية بالنقد وتطلع إلى نقيض مغاير لها متمثلة فى المجتمع البدائى فإنه فى حقيقة الأمر يركز انتباهه على الجانب العقلى العلمى الذى بلغته حضارته .

٦ — فى سنة ١٩٧٣ أبدى « شتراوس » رأيه فى (حرب فيتنام) ، لا لأنها حرب إنسان لإنسان ولكن لأنه فى نظره لايوجـــد كارثة أفدح من تخريب الإنسان للأحراش الفيتنامية والمجتمعات البدائية التى انبهر بها .

ولكنه فى عام ١٩٨٠ م يعترف بأنه إذا كان قد سبق ودافع عن حق الدول فى التحرر من الاستعمار فإنه لم يعد على يقين من صحـة دفاعه. خصوصاً : وأن عديداً من الدول التى تحررت لم تحسن أحوالها بل زادت مشكلاتها حدة ومأساوية .

من هنا : يتبين لنا مدى الرؤية النفسية أو مدى الرؤية العقلية لفيلسوف الفلسفة البنيوية « شتراوس » وكيف أنه مضطرب حتى فى المسائل الواضحة لأنه يرى الإنسان مجرد حركة مادية فى إطار (النسق)،

أما جوانبه الروحية والنفسية وقضـــايا التحرر من الذل والعبودية والاستعمار فهذا أمر فى حد ذاته يرى — شتراوس — أنه غير جدير بالتأمل أو الدعوة إليه .

وهذا فى جملته : يظهر لنا منهجه البنيوى العام فى دراسة أشكال الحضارة الإنسانية وأنه أمر ليس عميقاً بالقدر الذى يدعيه بعض معاصريه حتى وإن اتسقت هذه (السطحية) مع نظرته العامة فى الفلسفة البنيوية(١) .



---

(١) راجع ص ٩٠ من ك (تيارات فى فلسفة الحضارة) .
د / محمد مجدى .

خاتمـــة :

وبعد : فإنه رغم أنه وجه للفلسفة البنيوية فى مجال (الأنثروبولوجيا) من نقد كبير فى المجتمع الأوربى .

فقد تصدى « سارتر » لها وألف نقداً خاصاً بالفلسفة البنيوية .

وشهدت (فرنسا) ملاحاة طويلة فيما يختص بالتاريخ والجدل وما شابه ذلك . بين « سارتر » و « شتراوس »

لكنه عموما فإن (الفلسفة البنيوية) قد لاقت نجاحاً كبيراً فى فرنسا وخارجها كما حازت إعجاب الشباب على اختلاف تخصصاتهم . وساعد على ذلك : سقوط « الوجودية » . والفراغ لدى أوربا .

وقد روج لها روح العصر الأوربى الذى تخلى عن القيم والأخلاق والدين . وصار نهباً لمثل هذه الفلسفات الشاذة المتعاقبة عليه . إذ كلما أفاق من فلسفة ... أغارت عليه فلسفة أخرى .... تقوض ذاته أو عقله . وفى كل الأحوال ... فإنها تستهدف : إبعاده عن كل العقائد والأيديولوجيات الدينية والميتافيزيقيا ...

وبالتالى : الدين السماوى الصحيح . وهو « الإسلام » لأن وسائل الإعلام المعاصر بدأت تقربه إلى شباب أوربا .

وقناعتى : أن هذه الفلسفات الشاذة العارية عن معيار : العقل والمنطق . والتى تنبت من (خلايا) الثقافة الفرنسية أو الأوربية أو الغربية ...

إنما هى (وثبات) على العقل خطط لها من منطلق أتصوره شيئاً غير بعيد عن الصواب .

وهو : أن (الغرب) إذ ارتد إلى (عقله) الإنسانى ـ وعادت إليه

فطرته . فإنه سيبحث عن (الله) فى دين متكامل — وليس أمامه عندئذ (سوى العقيدة الإسلامية) التى ترضى العقل والقلب والوجدان وتصحب الإنسان كإنسان فى جميع مراحل حياته العامة والخاصة .

كما أن العقيدة الإسلامية ... لديها [الحلول النفسية والعقلية لمشكلات: النفس والعقل ولكل إنسان فى جميع العصور والأمصار .

وهذا كله يرشح (الإسلام) أن يكون (دين) أوروبا فى الغد القريب بإذن الله تعالى وهذا هو معنى (الصلاحية) لكل زمان ومكان .

والغرب لا ينام عن هذه (الحقيقة) لأنه يفاجأ بين كل فترة وأخرى بأن شخصاً (أوربى) المولد والنزعة يفرغ نفسه لدراسة شىء عن (العقيدة الإسلامية) فإذا به فى زمن وجيز يعلن إسلامه .

ولهذا نرى فى الآونة الأخيرة : تقاطراً رائعاً لمواكب الداخلين فى الدين الإسلامى من أبناء الغرب . فراراً من (الوجودية) الزائفة . أو (البنيوية) الملحدة . أو غير ذلك من الفلسفات التى (تفرخ) الشر والإلحاد ...

وهذا كله يضع على كاهل أبناء العقيدة الإسلامية مسئولية كبرى تتجلى فى :

١ — الكشف عن هذه الفلسفات ونقدها .

٢ — الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة سلوكا ومنهجاً .

وبعد : فقد بان الآن بعد هذه التطواف السريع فى (سراديب) الفلسفة البنيوية . مدى تهافت منهجها ... وضحالة فكرها ... وتسطح آرائها ...

وكيف برز التناقض والاضطراب فى نسيج (البنيوية) وأنها فى جملتها (خرافة) تعلقت بالأسطورة و (مادية) أشاعت (الإلحاد) .

ونسأل الله تعالى أن يبصر أبناء الإسلام بالحق حتى لا ينزلق فى زيفها عقل تخدر ... أو فكر تنكر ...

كما أسأله — سبحانه — أن يجعل هذا العمل خالصاً له وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ... إنه سميع مجيب .

[ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير] .

هذا ... وبالله التوفيق ؟

دكتور
مصطفى حلمى شلبى

ثبت بمراجع الكتاب

إسم الكتاب.	المؤلف.
البنيوية بين العلم والفلسفة	د / عبد الوهاب جعفر.
البنيوية فى الأنثروبولوجيا	د / عبد الوهاب جعفر .
البنيوية فى الفكر السياسى	د / عبد الوهاب جعفر .
تيارات فى فلسفة الحضارة	د / محمد مجدى الجزار .
مشكلة البنية	د / زكريا إبراهيم .
المعجم الفلسفى	نشر مجمع اللغة العربية .
النقد البنيوى بين الأيديولوجيا والنظرية ...	د / محمد على الكردى.

ثبت الموضوعات

﴿ بحوث للمؤلف ﴾

البحث	الناشر
١ ــ أبو حنيفة متكلماً .	رسالة (ماجستير) مخطوطة بكلية أصول الدين / القاهرة [لم تنشر بعد ...]
٢ ــ عقيدة التناسخ وموقف الإسلام منها .	رسالة (دكتوراه) مخطوطة بكلية أصول الدين / القاهرة . [لم تنشر بعد ...]
٣ ــ البعد الرابع فى نظرية المعرفة .	مكتبة الأزهر / القاهرة .
٤ ــ التصوف فى الميزان .	مكتبة نهضة مصر / الفجالة .
٥ ــ الوجودية فى الميزان .	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / القاهرة .
٦ ــ إبن خلدون منشىء علم الاجتماع « دراسة مقارنة » .	دار الأرقم / الزقازيق .
٧ ــ الأسطورة فى الفلسفة الإغريقية .	» » » »
٨ ــ خطر البابية والبهائية .	» » » »
٩ ــ القاديانية « عرض ونقد »	» » » »
١٠ ــ بحوث فى العقيدة الإسلامية مع : مقدمة فى « علم الكلام » .	الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع / المنصورة .

البحث	الناشر
١١ — الحركة والسهروردى .	بحث منشور بحولية كلية أصول الدين / القاهرة .
١٢ — الحاكمية والحزبية فى ضوء الإسلام .	دار الطباعه المحمدية / القاهرة
١٣ — الفلسفة البنيوية (رؤية نقدية) .	» » » »
١٤ — فلسفة نقل العقائد .	» » » »

تحت الطبع :

١ — تحقيق كتاب (العالم والمتعلم) لأبى حنيفة .
٢ — الجانب الإلهى عند ابن سينا .
٣ — الجانب الصوفى عند إبن تيمية .
٤ — السببية بين الغزالى . وديفيد هيوم .
٥ — الشعوبية بين : الغلو والزندقة .
٦ — عقيدة الإسراء والمعراج .
٧ — عقيدة ختم النبوة .
٨ — علم النفس العام مع مقدمة (رؤية خاصة) .
٩ — مقالات فى (فلسفة) البحث والمناظرة .
١٠ — فلسفة الأخلاق (دراسة مقارنة) .

تم بحمد الله

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٢٥٩ / ١٩٨٩ م